التعليقات المختصرة على المتون العلمية المقررة



الأصول الثلاثة

تأليف

أبي أيمن طلال بن أحمد العامري



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإن رسالة "الأصول الثلاثة" للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي – رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته – تعد من أهم المتون المختصرة والمفيدة في بيان أساسيات دين الإسلام وقواعده العقدية التي لا يسع المسلم جهلها.

لقد ألفها الإمام ليعلم الناس أصل دينهم الذي بعث الله به رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وهو التوحيد بجميع أنواعه وأقسامه، وما يناقضه من الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة، أو الشرك الأصغر الذي ينقص التوحيد.

لقد جاءت هذه الرسالة المباركة لتجيب عن ثلاثة أسئلة محورية يلقاها العبد في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وقد بنى الإمام هذه الأسئلة على أصول علمية متينة مستمدة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، موضحًا بأسلوب سلس وواضح أصول المعرفة بالله تعالى، وأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

كما بين حقيقة الإسلام وأركانه، والإيمان وأركانه، والإحسان وركنه، والولاء والبراء، والموالاة والمعاداة في الله، ونواقض الإسلام، مع ذكر الأدلة الشرعية على كل ذلك.

إن أهمية هذه الرسالة لا تكمن فقط في اختصارها وشموليتها، بل في منهجها التربوي والعقدي الذي يهدف إلى ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين، وتحذيرهم من الشرك والبدع والخرافات التي تنتشر في كثير من المجتمعات.

وقد حظيت هذه الرسالة بقبول واسع بين طلبة العلم وعوام المسلمين على

حد سواء، وتلقاها العلماء بالشرح والتعليق والتدريس في مختلف الأقطار.

وفي هذا التعليق المتواضع، أسعى بإذن الله تعالى إلى توضيح بعض المسائل الواردة في هذه الرسالة العظيمة.

سائلا ً الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من قرأه أو سمعه. والله المستعان وعليه التكلان.

تعريف موجز بالإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

هو الإمام المجدد، شيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، رحمه الله تعالى.

وُلد في بلدة العيينة بنجد عام 1115هـ (1703م)، وتوفي عام 1206هـ (1792م) في الدرعية.

يُعد الإمام محمد بن عبد الوهاب من أبرز علماء ومصلحي

الإسلام في القرن الثاني عشر الهجري، وقد كان له دور محوري في الدعوة إلى تجديد التوحيد الخالص ونبذ الشرك والبدع والخرافات التي انتشرت في زمانه.

نشأ في بيئة علمية، حيث كان والده وجده من كبار الفقهاء. حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتفقه في علوم الشريعة على أيدي علماء نجد

والحجاز، وسافر لطلب العلم في البصرة والأحساء.

تجلت دعوته في التركيز على التوحيد، وبيان أن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى شرك أكبر مخرج من الملة، مثل الاستغاثة بالأموات،

والطواف بالقبور، والنذر لغير الله. كما أكد على وجوب اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، والتحذير من التقليد الأعمى والتعصب المذهبي.

واجه الإمام محمد بن عبد الوهاب معارضة شديدة في بداية دعوته، لكنه وجد الدعم والمساندة من الأمير محمد بن سعود، حاكم الدرعية آنذاك، مما أثمر عن قيام الدولة السعودية الأولى التي قامت على أساس منهجه

االإصلاح والعقدي.

من أبرز مؤلفاته: كتاب التوحيد، كشف الشبهات، الأصول

الثلاثة، ونواقض الإسلام. لا تزال هذه المؤلفات تدرّس وتشرح في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وتعد من أهم المراجع في بيان العقيدة السلفية النقية.

بسم الله الرحمن الرحيم

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ -

أنّ طَلَبَ العِلمِ فَريضَةٌ، وَأنّهُ شِفَاءٌ لِلقُلوْبِ المَريضَةِ، وَمِنْ أهَمّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ دِيْنِكَ الذي مَعْرِفَتُهُ وَالعَمَلُ بِهِ سَبَبُ لِدُخُولِ الجَنّةِ، وَالجَهْلُ بِهِ وَإِضَاعَتُهُ سَبَبُ لِدُخُولِ النّارِ ، أعَاذَنَا اللهُ وَالمُسْلِمِينَ مِنْ ذلِكَ.

يعتبر هذا النص من الشيخ رحمه الله - من الدرر التي تنير درب المسلم في حياته، وهذا النص ليس مجرد نصيحة عابرة، بل هو دعوة صريحة ومباشرة إلى طلب العلم الشرعي، وتوضيح لأهميته البالغة .

قوله "اعلم - رحمك الله - أن طلب العلم فريضة".

هذه العبارة تؤكد أن طلب العلم ليس نافلة أو أمرًا اختياريًا، بل هو واجب على كل مسلم ومسلمة. والمراد بالعلم هنا هو العلم الشرعي الذي يخص عقيدة المسلم وعباداته ومعاملاته، فالمسلم لا يستطيع أن يعبد الله على بصيرة إلا بالعلم. هذه الفريضة تقتضي من المسلم أن يبذل وسعه في تحصيله، وأن يخصص جزءًا من وقته وجهده لذلك.

وقوله "شفاء للقلوب المريضة".

هذا الوصف بليغ ودقيق للغاية. فالقلوب تمرض بالجهل

والشكوك والشبهات والشهوات. والعلم هو النور الذي يُبَدِّد ظلمات الجهل،

والبلسم الذي يُداوي أمراض الشك، والأساس الذي يُقوي الإيمان.

فبالعلم يعرف العبد ربه حق المعرفة، ويعرف سننه وأحكامه، فيزداد خشوعًا ويقينًا، وتستقيم جوارحه على طاعة الله. وبدون العلم، تظل القلوب عرضة للزيغ

والضلال.

وقوله "ومِنْ أهَمّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ دِيْنِكَ الذي مَعْرِفَتُهُ وَالعَمَلُ بِهِ سَبَبُ لِدُخُول

الجَنّةِ".

هذا التركيز على معرفة الدين يُبرز محورية هذا الجانب من العلم. فالدين هو أساس حياة المسلم، وهو الذي يحدد علاقته بخالقه، وبنفسه، وبالناس من حوله. فمعرفة أركان الإسلام، وأصول الإيمان، وأحكام الحلال والحرام، هي معرفة لا غنى عنها لكل مسلم.

وقوله "الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة".

هذا يوضح أن العلم ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة للعمل الصالح الذي يقرب العبد إلى ربه ويكون سببًا في دخوله الجنة. فالعلم بلا عمل كشجرة

بلا ثمر، والعمل بلا علم كبناء بلا أساس.

وقوله "والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار".

هذه الجملة تعد بمثابة ناقوس خطر يوقظ الغافلين. فالجهل بالدين ليس مجرد نقص في المعرفة، بل هو مدخل للخطايا والضلالات، وقد يقود صاحبه إلى مخالفة أوامر الله وارتكاب نواهيه، مما قد يكون سببًا في استحقاقه العذاب في الآخرة. وإضاعة الدين تعني عدم الاهتمام به وعدم العمل بمقتضاه، وهو أمر لا يقل خطورة عن الجهل به.

وقوله "أعاذنا الله والمسلمين من ذلك".

هذا الدعاء يعكس تواضع الشيخ وخوفه من الله، ويُذكر المسلم بضرورة

الاستعانة بالله والتضرع إليه ليوفقه لطلب العلم والعمل به، وأن يُجنبه الجهل والضلال.

باختصار، هذه الفقرة الموجزة من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي بمثابة خارطة طريق لكل مسلم يسعى للنجاة في الدنيا والآخرة.

اعلم - رَحِمَكَ اللّه - أنّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تعَلّمُ

أرْبَعِ مَسَائِلَ:الأ ُولَى : العِلمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ

ِ الإ ِسْلَامِ بِالأ َدِلةِ.الثانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.الثّالِثَةُ :الدّعْوَةُ إليْهِ.الرّابِعَةُ: الصّبْرُ عَلَى الأذَى فِيهِ.

في هذا النص يذكر المؤلف أربع مسائل جوهرية لا يستغني عنها المسلم في دينه ودنياه. :

الأولى: العلم

العلم هنا ليس أي علم، بل هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. هذا هو العلم الشرعي الذي يقوم عليه بناء الإيمان والعبادة.

وهومعرفة الله:

تعني معرفة وحدانيته، أسمائه وصفاته، أفعاله، وحقوقه علينا. هذه المعرفة تقود إلى توحيده بالعبادة، وإفراده بالحب والخوف والرجاء. بدون هذه المعرفة، لا يمكن للإنسان أن يعبد ربه على بصيرة.

ومعرفة نبيه ﷺ:

تتضمن معرفة سيرته، سنته، رسالته، وكونه خاتم الأنبياء

والمرسلين. معرفة النبي ﷺ تمكن المسلم من اتباع هديه

والاقتداء به، فهو القدوة الحسنة لنا.

ومعرفة دين الإسلام بالأدلة:

تعني فهم أصول الدين وفروعه، عقائده وشرائعه، مستندة إلى الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. ليس مجرد التقليد الأعمى، بل الفهم المبني على البراهين والحجج الشرعية. هذا الجزء يؤكد على أهمية التفقه في الدين، وليس الاكتفاء بالمعلومات السطحية.

الثانية: العمل به

العلم وحده لا يكفي، بل يجب أن يتبعه العمل بما علم. العلم بلا عمل

كالشجر بلا ثمر. الإسلام دين عمل.

فمن عرف الله، عبده. ومن عرف نبيه، اتبعه. ومن عرف الإسلام، طبق أحكامه. العمل يشمل أداء الفرائض، واجتناب المحرمات، والتحلي بالأخلاق الفاضلة. هذا هو ثمرة العلم الحقيقي.

الثالثة: الدعوة إليه

بعد العلم والعمل، تأتي الدعوة إلى الله. المسلم الحق ليس مستفيدًا لنفسه فقط، بل هو داعية إلى الخير. الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والرسل، وهي مسئولية عظيمة تقع على عاتق كل مسلم بقدر استطاعته. الدعوة تكون بالقول الحسن، بالقدوة الطيبة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، مع مراعاة أحوال المدعوين. إنها إيصال ما تعلمه وعمل به

للآخرين، حتى يعم الخير وينتشر الهُدى.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه

هذه المسألة هي ركن أساسي ومكمل للمسائل الثلاث السابقة. الصبر على

الأذى في سبيل الله ضروري لكل من يسير في طريق العلم والعمل

والدعوة. طريق الحق ليس مفروشًا بالورود، بل قد يواجه المسلم فيه الصعوبات، الاستهزاء، الرفض، العداوة.

والصبر هنا يشمل:

* الصبر على طاعة الله: بأداء الواجبات وإن كانت شاقة على النفس.

* الصبر عن معصية الله: بكف النفس عن الشهوات المحرمة.

* الصبر على أقدار الله المؤلمة: كالمرض والفقر وفقد الأحباء.

* الصبر على أذى الناس في سبيل الله: وهذا مرتبط بالدعوة، فقد يتعرض الداعية للأذى ممن يدعوهم أو من غيرهم.

وَالدّلِيلُ قوْلهُ تعَالى: بِسْمِ اللّه ِ الرّحْمَنَ الرّحِيمِ وَالعَصْرِ إِنّ الإِنسَانَ لفِي خُسْرٍ إِلَا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلوا الصّالِحَاتِ وَتوَاصَوْا بِالحَقّ وَتوَاصَوْا

بِالصّبْرِ [العصر : ١-٣].

قالَ الشّافِعِيُ رَحِمَهُ اللهُ تعَالى : لوْ مَا أنْزَلَ اللّه ُ حُجّةً عَلى خَلقِهِ إِلَا هَذِهِ السُورَةَ لكفَتْهُمْ .

استدل المؤلف رحمه الله على هذه المسائل الأربع بسورة العصر وهو دليل بليغ ومحكم. فهذه السورة، على قصرها، جمعت هذه الأصول

الأربعة العظيمة:

"إِلَا الذِينَ ءَامَنُوا":

هذا يشمل العلم، فالإيمان الصحيح لا يكون إلا عن معرفة وبصيرة بالله ورسوله ودينه.

"وَعَمِلوا الصّالِحَاتِ":

هذا هو العمل به، أي تطبيق مقتضيات الإيمان على أرض الواقع.

"وَتوَاصَوْا بِالحَقّ":

هذا هو الدعوة إليه، فالتواصي بالحق هو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ودعوة إلى الله.

"وَتوَاصَوْا بِالصّبْرِ":

هذا هو الصبر على الأذى فيه، فالذي يدعو إلى الحق لا بد أن يواجه تحديات ويحتاج إلى الصبر.

قال الشافعي رحمه الله: "لوْ مَا أنْزَلَ اللّه ُ حُجّةً عَلى خَلقِهِ إِلَا هَذِهِ السُورَةَ لكفَتْهُمْ"

يؤكد على عظم هذه السورة وشمولها. فمع قصرها، إلا أنها تحوي المنهج

الكامل لنجاة الإنسان من الخسران في الدنيا

والآخرة. لو تدبرها الإنسان وعمل بمقتضاها، لكفته هاديًا ومرشدًا إلى طريق النجاة والفلاح.

باختصار هذه المسائل الأربع تشكل خارطة طريق للمسلم: يبدأ بطلب العلم الصحيح، ثم يتبعه بـالعمل بهذا العلم، ثم لا يستأثر بالخير لنفسه بل يدعو إليه الآخرين، وفي كل ذلك لا بد له من الصبر على ما يواجهه من صعوبات.
من تمسك بهذه الأركان الأربعة، فاز ونجا من الخسران المبين.

وَقَالَ البُخَارِيُ رَحِمَهُ اللهُ تعَالَى: بَابُ : العِلمِ قبْلَ القوْلِ وَالعَمَلِ وَالدّلِيلُ قوْلهُ تعَالَى: ﴿ فَأعْلمْ أنهُ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِك اا لآي [محمد : ١٩]

(فَبَدَأَ بِالعِلمِ قبْلَ القوْلِ وَالعَمَلِ)..

هذه النص نقله المؤلف رحمه الله من صحيح البخاري، وتحديدا من "كتاب العلم"،

قال البخاري رحمه الله تعالى: "باب: العلم قبل القول والعمل".

هذا التبويب بحد ذاته قاعدة ذهبية.

ثم استدل البخاري رحمه الله على هذا التبويب بقوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أنهُ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [محمد: 19].

هذا الدليل من أقوى الأدلة وأصرحها في القرآن الكريم على أهمية العلم وتقديمه.

ويعلق البخاري على الآية بقوله:

"فَبَدَأَ بِالعِلمِ قبْلَ القوْلِ وَالعَمَلِ".

هذا التعليق الموجز يحمل في طياته دلالات عميقة جدًا منها .

* أن العلم هو الأساس: هذه القاعدة التي أصلها البخاري تبين أن العلم ليس مجرد تحصيل معلومات، بل هو البوصلة التي توجه الأقوال والأفعال. فكل قول أو عمل لا يستند إلى علم شرعي، قد يكون ضلالا ً أو بدعة أو عملا ً غير مقبول شرعًا.

*ومنها أن العلم يُصلح النية والعمل: قبل أن يتكلم الإنسان أو يعمل، يجب أن يعلم ما يقول وما يعمل، ولماذا يقوله ويعمله. هذا العلم هو الذي يصحح

النية ويجعل العمل خالصًا لوجه الله وموافقًا لشرعه. فالعامل بدون علم

كالذي يسير في الظلام، قد يجتهد كثيرًا ولكنه لا يصل إلى مبتغاه أو يصل إلى غيره.

* ومنها أن العلم يبعد عن الجهل والبدعة: الجهل هو منشأ كثير من

الضلالات والبدع والخرافات. فإذا انتشر العلم الصحيح المستمد من الكتاب

والسنة، فإنه يُبدد ظلمات الجهل ويُحارب الأفكار المنحرفة.

* ومنها الترتيب القرآني المعجز: الآية تأمر

أولا بـ "العلم" بالتوحيد الخالص لله (أنه لا إله إلا الله)،

ثم تأمر بـ "الاستغفار" للذنب. والاستغفار هو من جنس القول (الدعاء)

والعمل (التوبة والندم).

*ومنها أولوية التوحيد: تقديم العلم بالتوحيد (لا إله إلا الله) على

الاستغفار يدل على أن أعظم علم يُطلب هو علم التوحيد. فإدراك حقيقة "لا إله إلا الله" بمعناها الشامل - من ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات - هو مفتاح الدخول في الإسلام، وهو أساس كل عمل صالح. فإذا لم يُبن العمل على توحيد خالص، فإنه لا يُقبل.

*ومنها أن العلم يورث الخشية والتوبة: عندما يعلم

الإنسان حقيقة الله، وعظمته، وقدرته، وألوهيته، فإن هذا العلم يورث في قلبه الخشية والإجلال، ويدفعه إلى التوبة

والاستغفار من الذنوب. فالمعرفة بالله هي التي تدفع العبد إلى طاعته

والإنابة إليه.

* ومنها أنه يجب على المسلم أن يقدم العلم على العمل،

فلا يشرع في عبادة أو معاملة إلا بعد أن يتفقه فيها ويعلم أحكامها. فمثلا ً، لا يصلي المسلم إلا بعد أن يعلم شروط الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها ومبطلاتها. ولا يتاجر إلا بعد أن يعلم أحكام البيع والشراء في

الإسلام.

* ومنها أن الداعية إلى الله لا يدعو إلا بعلم وبصيرة. فلا يلقي الناس في الضلال وهو يظن أنه يدعوهم إلى الحق. العلم هو أساس الحكمة في الدعوة.

* ومنها أنه يجب أن نغرس في أنفسنا وأبنائنا مبدأ العلم قبل العمل. أن نتعلم أولا ً ثم نعمل. فكثير من المشاكل تنشأ عن العمل بدون علم، سواء كان ذلك في الأمور الدينية أو الدنيوية.

*ومنها أن العلم هو النجاة: في زمن كثرت فيه الشبهات

والشهوات، لا نجاة للمسلم إلا بالتمسك بالعلم الشرعي الصحيح الذي يحصنه من الوقوع في الضلال أو اتباع الهوى.

اعلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أنّ اللهَ أوْجَبَ عَلَى كُلّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ، تعَلمَ ثلاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ، والعَمَلَ بِهنّ.

الأ ُولَى : أنّ اللهَ خَلَقنَا لِعِبَادَتِهِ، وَلَمْ يَترُكنَا هَمَلًا، وَأرْسَلَ إلَيْنَا رَسُوْلًا، فَمَنْ أطَاعَهُ دَخَلَ الجنّة، وَمَنْ عَصَاهُ دَخلَ النّارَ.

وَالدّلِيلُ قوْلُه تعَالَى: ﴿إنّا أرْسَلنَا إلَيْكمْ رَسُولًا شَهدًا عَلَيْكمْ ﴾

الآية [المزمل : ١٥].

هذا النص افتتحه المؤلف رحمه الله بأسلوب دعائي تربوي، حيث قال "اعلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ -". وهذا دعاء للمتعلم

بالرحمة من الله، وهو أسلوب يدل على نصح وحب الخير للمتلقي، وتهيئته لاستقبال العلم النافع بقلب منشرح.

ثم انتقل المؤلف لبيان أمر في غاية الأهمية، وهو أنّ: "اللهَ أوْجَبَ عَلَى كُلّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ، تعَلمَ ثلاثِ مَسَائِلِ، والعَمَلَ بِهنّ."

هذه النص يحمل في طياته عدة نقاط:

* الوجوب: كلمة "أوجب" تدل على الفرضية واللزوم، أي أنّ هذه المسائل ليست من نافلة القول أو مجرد المستحبات، بل هي فرائض عينية لا يسع المسلم جهلها أو إهمالها.

* الشمولية: "على كل مسلم ومسلمة" تؤكد أنّ هذا الوجوب عام وشامل لكافة أفراد الأمة الإسلامية، ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، ليس خاصاً بطلاب العلم الشرعي المتخصصين فحسب، بل هو أساس لعامة المسلمين.

* العلم والعمل: لم يقتصر الأمر على مجرد "تعلم" هذه المسائل، بل قرنه

بـ "العمل بهن". وهذا مبدأ أصيل في الإسلام، فالعلم بلا عمل لا ينتج الثمرة المرجوة،

والعمل بلا علم قد يكون ضلالاً. فالجمع بينهما هو طريق الفلاح.

ثم انتقل المؤلف لذكر المسائل

فقال الأولى : أنّ اللهَ خَلَقنَا لِعِبَادَتِهِ، وَلَمْ يَتْرُكنَا هَمَلًا، وَأرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُوْلًا، فَمَنْ أطَاعَهُ دَخَلَ الجنّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النّارَ."

هذه الفقرة تلخص جوهر العقيدة الإسلامية في نقاط بديعة ومترابطة:

* غاية الخلق: "أنّ اللهَ خَلَقنَا لِعِبَادَتِهِ". هذه هي الحقيقة الكبرى التي يجب أن تستقر في قلب كل مسلم. لم يُخلق

الإنسان عبثًا أو صدفة، بل خُلق لغاية عظيمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له. وهذا يعطي معنىً للحياة وهدفاً سامياً لوجود الإنسان. العبادة هنا ليست مجرد شعائر، بل هي مفهوم واسع يشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال

والأعمال الظاهرة والباطنة.

* انتفاء الهملية: "وَلَمْ يَتْرُكنَا هَمَلًا". "هملا ً" تعني سُدىً، بغير غاية، أو بلا أمر ونهي. وهذا ينفي الفكرة الزائغة القائلة بأن الإنسان متروك بلا توجيه أو حساب. فالله تعالى بكمال حكمته وعدله ورحمته، لم يخلقنا ثم يتركنا نتخبط في هذه الدنيا دون هادٍ أو دليل.

* إرسال الرسل: "وَأرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُوْلًا". هذا هو الدليل العملي على نفي الهملية، وعلى اهتمام الله بخلقه ورحمته بهم. فلو تركنا هملا ً، لما أرسل إلينا الرسل ليبينوا لنا الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وما يرضيه وما يسخطه.

إرسال الرسل هو قمة اللطف الإلهي بعباده، فهو السبيل الوحيد لمعرفة كيفية عبادة الله وتحقيق الغاية التي خلقنا من أجلها. وهذا الرسول المقصود هنا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين.

* الجزاء الأبدي: "فَمَنْ أطَاعَهُ دَخَلَ الجنّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النّارَ". هذه الجملة تضع خلاصة الأمر ومآله.

إنّ إرسال الرسول يتضمن طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه، وتصديق ما أخبر به. هذه الطاعة هي مفتاح الجنة،

والجنة هي دار النعيم الأبدي التي أعدها الله للمتقين. وفي المقابل، فإنّ العصيان وعدم الانصياع لما جاء به الرسول هو سبيل النار، وهي دار العذاب الأليم التي أعدها الله للعاصين. هذا التحديد الواضح للمصيرين يرسخ في النفس مبدأ الثواب والعقاب، والمسؤولية الفردية عن الاختيار.

"وَالدّلِيلُ قوْلهُ تعَالى: ﴿إِنّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكمْ ﴾

الآية [المزمل : ١٥]."

"إِنّا أَرْسَلَنَا إِلَيْكمْ رَسُولًا": هذا تأكيد إلهي على فعل

الإرسال. "إنا" تدل على عظمة المرسِل وقوته وقدرته. "إليكم" موجهة للبشرية جمعاء، والمخاطبون هنا هم أهل مكة ابتداءً ثم كل من بلغه القرآن. و"رسولا ً" هو محمد صلى الله عليه وسلم.

"شَهِيدًا عَلَيْكمْ": هذه هي النقطة المحورية في الآية المتعلقة بما ذكره المؤلف. "شهيداً عليكم" تعني أن هذا الرسول سيكون شاهداً عليكم يوم القيامة. شاهداً عليكم بأنه بلغكم الرسالة، وأقام عليكم الحجة، وبين لكم الطريق. فليس لأحد حجة يوم القيامة بأنه لم يبلغه الأمر أو لم يعلم ما يجب عليه. فالرسول صلى الله عليه وسلم سيشهد لمن أطاع بالهدى، ويشهد على من عصى بالضلالة. وهذا يترتب عليه وجوب الطاعة لهذا الرسول والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، لأن مصير الإنسان في الآخرة يتوقف على موقفه من هذه الرسالة وهذا الرسول.

تمام الآية الآية كاملة هي: "إِنّا أَرْسَلَنَا إِلَيْكمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكمْ كمَا أَرْسَلَنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا".

هذا الجزء المكمل للآية ينقلها إلى مجال العبرة والعظة. فكما أرسل الله إلى فرعون رسولا ً (موسى عليه السلام)، فكذب فرعون وعصى، فكان مصيره الهلاك والعذاب الأليم، فكذلك سيكون مصير من يكذب الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم ويعصيه. وهذا تذكير بيوم الحساب وجزاء الأعمال.

الثَّانِيَةُ : أَنَّ اللَّه َ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا

تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

هذه النص يتحدث فيه المؤلف عن نقطة جوهرية في

العقيد الإسلامية، وهي:

"أَنَّ اللَّه َ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ"

هذا الجزء يؤكد مبدأ التوحيد الخالص.

بمعنى أن اللّه سبحانه وتعالى هو المستحق الوحيد للعبادة، ولا يجوز إشراك أحد معه فيها، كائنًا من كان. وهذا يشمل:

* لا ملك مقرب: حتى الملائكة الذين هم أقرب المخلوقات إلى اللّه وأكثرها طاعة، لا يجوز عبادتهم أو دعاؤهم أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لهم. دور الملائكة هو تنفيذ أوامر اللّه وعبادته هو وحده، وليس أن يُعبدوا هم.

* ولا نبي مرسل: وكذلك الأنبياء والمرسلون هم بشر اختارهم اللّه لتبليغ رسالته. هم واسطة بين اللّه وعباده في التبليغ، وليسوا آلهة أو شركاء لله في العبادة. عبادتهم أو دعاؤهم من دون اللّه هو شرك صريح.

العبادة هنا لا تقتصر على الصلاة والصوم والزكاة والحج فقط، بل تشمل كل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأقوال

والأفعال الظاهرة والباطنة، مثل الدعاء، الاستغاثة، النذر، الذبح، التوكل، الخوف، الرجاء، الحب، وغيرها. كل هذه

الأمور يجب أن تكون موجهة لله وحده لا شريك له.

"وَالدّلِيلُ قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَأنّ المَسَاجِدَ لِلهِ فَلا تدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا﴾ [الجن: ١٨]."

* "وَأنّ المَسَاجِدَ لِلهِ":

المساجد: هنا تحتمل معنيين رئيسيين، وكلاهما يصب في نفس المعنى الجوهري للآية:

* أماكن السجود والعبادة: أي أن جميع الأماكن المخصصة للعبادة

(كالمساجد التي نعرفها) هي ملك لله وحده، ومبنية لعبادته وحده، ويجب أن تكون خالصة له. لا يجوز أن يُعبد فيها غير الله، ولا أن يُشرك فيها معه أحد.

* أعضاء السجود في الإنسان: وهي الجبهة والأنف واليدان والركبتان

والقدمان. هذه الأعضاء التي نسجد بها لله هي لله وحده، ولا يجوز أن تسجد لغيره أو أن تستخدم في عبادة غيره. بمعنى أن السجود الذي هو قمة الخضوع والذل يجب أن يكون لله وحده.

لِلهِ: تعني أنها ملك له وحده، ومخصصة لعبادته وحده، ولا يشاركه فيها أحد.

"فَلا تدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا": فَلا تدْعُوا: الدعاء هنا يشمل معنيين واسعين:

* دعاء العبادة: أي لا توجهوا أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، مثل

الصلاة، الصوم، الاستغاثة، النذر، الذبح، وغيرها. فالدعاء هو جوهر العبادة.

* دعاء المسألة: أي لا تطلبوا وتستغيثوا وتتوجهوا بمسائلكم وحاجاتكم

إلا إلى الله وحده. لا تدعوا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا، ولا وليًا صالحًا، ولا أي مخلوق آخر لكشف ضر أو جلب نفع. فالله وحده هو القادر على ذلك.

مَعَ اللهِ أحَدًا: هذه الكلمة هي جوهر النهي، وهي تؤكد تحريم الشرك بكل أنواعه وصوره. فلا يجوز أن تجعل لله شريكًا في الدعاء أو العبادة، حتى لو كان هذا الشريك كائنًا عظيم القدر في نظر الناس (مثل الأنبياء والأولياء).

الثَّالِثَةُ :

أنّ مَنْ أطَاعَ الرّسُولَ، وَوَحّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدّلِيلُ قَوْلُهُ تعَالَى: لَا تجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادّونَ مَنْ حَادّ

اللهَ وَرَسُولَهُ الآية [المجادلة: ٢٢].

في هذه النص يذكر المؤلف رحمه اللّه مبدأ إسلاميًا عظيمًا وأساسيًا في

الولاء والبراء وهو.

قوله"مَنْ أطَاعَ الرّسُولَ، وَوَحّدَ اللّه": هذا الوصف يحدد المؤمن الحق.

"أطَاعَ الرّسُولَ": يعني التزامًا كاملا ً بسنة النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم، واتباع أوامره واجتناب نواهيه،

والتسليم لشرعه في كل صغيرة وكبيرة. طاعة الرسول هي جزء لا يتجزأ من طاعة اللّه، لقوله تعالى: "مّن يُطِعِ الرّسُولَ فَقدْ أطَاعَ اللّهَ" (النساء: 80).

"وَوَحّدَ اللّه": هذا هو جوهر التوحيد، وهو إفراد اللّه

بالعبادة، والاعتقاد بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته بلا شريك ولا مثيل و لا شبيه. يتضمن ذلك توحيد الألوهية (إفراد اللّه بالعبادة)، وتوحيد الربوبية (إفراده بالخلق والرزق والتدبير)، وتوحيد الأسماء والصفات (إثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل).

* فالشخص الذي يحقق هذين الأمرين هو المؤمن الحقيقي، الذي رسخ

الإيمان في قلبه وعمله.

قوله "لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادّ اللّهَ وَرَسُولَهُ":

هذا هو جوهر النهي وبيان الحكم الشرعي.

"لَا يَجُوزُ لَهُ": تعني التحريم القطعي، فليس للمؤمن خيار في هذا الأمر، بل هو أمر محرم وممنوع شرعًا.

"مُوَالَاةُ": الولاء هنا يعني المحبة والنصرة والميل والمصادقة والاتخاذ بطانة والمودة والتعاون على الباطل. هو أن يكون قلبك معهم وأن تدعمهم وتتعاطف معهم وتعينهم، سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل أو بالقلب.

"مَنْ حَادّ اللهَ وَرَسُولَهُ": "حادّ" من المحادة، وهي المخالفة والمعاداة

والمشاقة والمجانبة. والمقصود هنا كل من يقف في صف المعاداة لله ولرسوله، سواء كان ذلك بالكفر الصريح، أو بمعاداة شرع الله، أو بإنكار ما جاء به الرسول، أو بمناصرة أعداء الدين والمسلمين. يشمل ذلك الكفار

والمشركين والمرتدين والمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وكل من يحارب دين الله ويناوئ أولياءه.

* فالمؤمن الذي أطاع الله ورسوله ووحده، لا يمكن أن يجمع بين هذا

الإيمان وبين موالاة ومحبة ومناصرة من يعادي الله ورسوله. إنهما ضدان لا يجتمعان في قلب مؤمن.

قوله "وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ": هذا الجزء يؤكد على عظم هذا المبدأ وشموليته.

* هذا القيد يزيل أي استثناء قد يظنه البعض بسبب صلة القرابة. فالمحبة والولاء لله ورسوله ودينه مقدمة على كل صلة، حتى لو كانت هذه الصلة بأقرب الناس إليك كالأب والأم والأخ والابن والزوجة.

* هذا يدل على أن معيار الولاء والبراء في الإسلام ليس معيارًا عائليًا أو قبليًا أو عرقيًا، بل هو معيار ديني وإيماني بحت. فالرابطة الدينية هي أقوى الروابط وأوجبها.

"وَالدّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادّ اللهَ وَرَسُولَهُ الْآيَة [المجادلة: ٢٢]"

هذه الآية الكريمة من سورة المجادلة هي الدليل الشرعي القاطع على المبدأ المذكور آنفًا، وتفسيرها كالتالي:

"لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ":

هذه صيغة نفي يراد بها نفي الوجود، أي: لا يوجد، ولا يمكن أن تجد.

*"قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ":

هذا وصف للمؤمنين الصادقين.

"يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ":

يتضمن الإيمان بوجوده ووحدانيته، وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته،

والتسليم لأمره ونهيه.

"وَالْيَوْمِ الْآخِرِ":

يتضمن الإيمان بالبعث والحساب والجزاء والجنة والنار. الإيمان باليوم

الآخر له أثر عظيم في تهذيب السلوك والتقوى، لأن من يؤمن بالحساب يكون أشد حرصًا على رضا الله واجتناب سخطه.

* المقصود بهذا الوصف هو المؤمن الكامل الذي رسخ الإيمان في قلبه وعقيدته، وأصبح الإيمان هو المحرك الأساسي لحياته.

"يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ":

"يُوَادُّونَ": من الموادة، وهي أشد من مجرد الحب، تشمل المحبة القلبية العميقة، والمودة الظاهرة والباطنة، والمناصرة، والتعاطف، والتقرب، والإعانة ، والحرص على مصالحهم وسلامتهم حتى لو كانت على حساب الدين.

"مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ":

أي كل من عادى الله ورسوله وخالف أمرهما، سواء كان ذلك بالكفر أو النفاق أو العدوان على شرع الله وأوليائه.

"وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ":

هذا التأكيد هو نفس معنى "وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ" في القطعة. يوضح أن هذه الموادة المحرمة لا تستثني الأقارب مهما بلغت درجة القرابة. فالميزان هنا هو الدين لا النسب.

"أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ":

هؤلاء هم الذين كتب الله الإيمان في قلوبهم وثبته ورسخه، فلا يتزعزع.

"وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ":

أيدهم بروح القدس، أي: قواهم بالهداية والتوفيق والنصر والمعونة منه سبحانه وتعالى.

"وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا":

هذا جزاؤهم العظيم في الآخرة، وهو الفوز بالجنة والخلود فيها.

"رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ":

هذه هي أعلى درجات النعيم، رضا الله عنهم ورضاهم عنه بما آتاهم من فضله.

"أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ":

هؤلاء هم جند الله وأولياؤه وأنصاره.

"أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ":

إعلان حاسم بأن الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة هو لمن كان من حزب الله، وهم الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله.

* الآية تنفي نفيًا مطلقًا أن يجتمع الإيمان الصادق بالله

واليوم الآخر في قلبٍ مع موادة ومحبة من يعادي الله ورسوله. بمعنى أنه لا يمكن لشخص أن يكون مؤمنًا حقًا ويحمل في قلبه محبة وموالاة لأعداء الله ورسوله في نفس الوقت. إنهما ضدان لا يجتمعان. فالمحبة إما أن تكون لله ورسوله وأوليائه، وإما أن تكون لأعدائهما.

اعلَمْ - أرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ - : أنّ الحَنِيفِيّة مِلة إبْرَاهِيمَ : أنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لهُ الدّينَ، وَبِذَلِكَ أمَرَ اللهُ جَمِيعَ النّاس، وَخَلَقهُمْ

لهَا كمَا قالَ تعَالَى: ﴿وَمَا خَلقتُ الجِنّ وَالإنسَ إلا ليَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦].

وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحّدُونِ.

قوله "اعلَمْ - أرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ -":

هذه العبارة الافتتاحية هي توجيه للقارئ أو السامع بالانتباه لما سيُذكر. تبدأ بكلمة "اعلم" التي تعني "كن على علم" أو "ادرك". ثم يأتي الدعاء الجميل "أرشدك الله لطاعته"، وهذا الدعاء يحمل معنى التمني بأن يوفق الله الشخص ويهديه ويسدده لفعل ما يرضيه من الطاعات والعبادات.

هذا يمهد لأهمية المعلومة التي سيتم ذكرها، وكأنها معلومة أساسية ينبغي للمسلم أن يعيها ويعمل بها.الحنيفية ومفهومها

قوله "أنّ الحَنِيفِيّة مِلة إبْرَاهِيمَ":

هنا يتم تعريف "الحنيفية" بأنها "ملة إبراهيم".

الحنيفية: كلمة "حنيف" في اللغة تعني المائل عن الباطل إلى الحق، أو المستقيم على دين الحق. فالحنيفية هي الدين الحق الذي لا انحراف فيه

ولا ميل عن التوحيد الخالص لله.

ملة إبراهيم: تشير إلى دين النبي إبراهيم عليه السلام، وهو أبو الأنبياء الذي اشتهر بإيمانه الراسخ وتوحيده الخالص لله تعالى، حيث نبذ الشرك وعبادة الأصنام. القرآن الكريم يصف إبراهيم بأنه كان "حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين" (آل عمران: 67).

هذا يؤكد أن جوهر دين إبراهيم كان التوحيد الخالص لله.جوهر الحنيفية: عبادة الله وحده وإخلاص الدين له

"أنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لهُ الدّينَ":

هذا هو اللب والمضمون الأساسي للحنيفية.

تعبد الله وحده: يعني أن توجه جميع أنواع العبادة، الظاهرة والباطنة (مثل الصلاة، الزكاة، الصيام، الدعاء، الخوف، الرجاء، التوكل، المحبة) لله تعالى دون سواه. فلا يجوز إشراك أحد معه في هذه العبادات، سواء كان ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلًا أو وليًا صالحًا.

مخلصًا له الدين: الإخلاص هنا يعني تنقية القصد والنية في جميع

الأعمال الصالحة من أي شائبة شرك أو رياء أو طلب لثناء الناس أو أي غرض دنيوي. فعمل المسلم يجب أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى وحده، ابتغاء مرضاته وثوابه. هذا هو جوهر التوحيد الألوهية.الأمر الإلهي والخلق لهذا الغرض

"وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النّاس، وَخَلَقَهُمْ لَهَا":

هذه العبارة تؤكد على عالمية هذا الأمر وكونه الغاية من خلق البشر.

أمر الله جميع الناس: هذا الدين (الحنيفية القائمة على التوحيد الخالص) ليس خاصًا بفئة معينة أو زمان معين، بل هو أمر إلهي موجه لكل البشر في كل زمان ومكان. جميع الرسل والأنبياء جاؤوا بنفس الرسالة الأساسية وهي الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده.

وخلقهم لها: هذا يعني أن الغاية الأساسية من خلق الجن والإنس هي تحقيق هذه العبادة وهذا التوحيد. وجودنا في هذه الحياة ليس عبثًا، بل لهدف عظيم محدد من الخالق.

الدليل القرآني وتفسيره

كمَا قالَ تعَالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦]:

هذا النص القرآني هو الدليل الصريح على ما سبق. يوضح أن الهدف من خلق الثقلين (الجن والإنس) هو العبادة.

قوله وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ:

هذا يؤكد أن العبادة المقبولة عند الله هي التي تكون مبنية على التوحيد الخالص لله، والبعد عن الشرك بجميع أنواعه.

فالعبادة دون توحيد لا قيمة لها في ميزان الشرع.

وَأعْظَمُ مَا أمَرَ اللهُ بِهِ التّوْحِيدُ، وَهُوَ : إفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ.

وَأعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشّرِكُ، وَهُوَ : دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدّلِيلُ قَوْلُه تَعَالَى:

﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء : ٣٦].

هذا النص يركز على أمرين جوهريين: التوحيد ووالشرك.

بدأ رحمه الله بأهم أمر الله به، وهو التوحيد.

* التوحيد لغة واصطلاحًا:

* لغة: مشتق من الفعل "وَحّدَ"، ويعني جعل الشيء واحدًا.

* اصطلاحًا "إفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ". هذا هو جوهر التوحيد في الإسلام.

ومعناه أن يخص العبد ربه بجميع أنواع العبادات الظاهرة

والباطنة، القولية والفعلية، وأن يعتقد اعتقادًا جازمًا بأنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته.

وكلمة "العبادة" هنا شاملة لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. فتشمل الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء،

والخوف، والرجاء، والتوكل، والاستعانة، والاستغاثة، والنذر، والذبح، وغيرها.

فإفراد الله بكل هذه العبادات هو التوحيد.

ثم انتقل رحمه الله إلى بيان أعظم ما نهى الله عنه، وهو الشرك.

الشرك لغة واصطلاحًا:

لغة: مشتق من الفعل "أشْرَكَ"، ويعني جعل الشيء شريكًا لآخر.

قوله "دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ".

هذا تعريف للشرك الأكبر المخرج من الملة. ومعناه أن يجعل العبد لله شريكًا في أي نوع من أنواع العبادة التي هي حق خالص لله.

الشرك أنواع:

* شرك في الألوهية: وهو أن تصرف شيئًا من العبادة لغير الله، كأن تدعو غير الله، أو تذبح لغير الله، أو تنذر لغير الله، أو تتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. وهذا هو المقصود بقوله "دعوة غيره معه".

* شرك في الربوبية: وهو أن تعتقد أن هناك خالقًا أو رازقًا أو مدبرًا للكون مع الله، وهذا نادر الوقوع إلا عند منكري وجود الله.

* شرك في الأسماء والصفات: وهو أن تسمي الله بغير أسمائه الحسنى، أو تصفه بغير صفاته العلى، أو أن تشبه المخلوق بالخالق في صفاته الخاصة بالله كالعلم المطلق أو القدرة المطلقة.

واختتم رحمه الله النص بالدليل القرآني

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء : ٣٦]

"وَاعْبُدُوا اللَّهَ":

هذا أمر صريح من الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له. وهذا هو التوحيد.

"وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا":

هذا نهي صريح عن الشرك بالله، أي لا تجعلوا لله شريكًا في أي نوع من أنواع العبادات، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، قليلة أو كثيرة، ظاهرة أو باطنة. فكلمة "شيئًا" جاءت في سياق النهي لتفيد العموم والشمول، أي لا تشركوا به شيئًا مهما كان هذا الشيء أو صغرت قيمته.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الأ ُصُولُ الثَّلَاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا ؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ .

الأصل الأول :معرفة العبد ربه :

"معرفة العبد ربه" هي الأساس الأول من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها. تعني هذه المعرفة أن يدرك الإنسان من هو الله سبحانه وتعالى، وما هي صفاته، وما هي حقوقه عليه كربٍ خالق ومدبر. هذه المعرفة ليست مجرد إدراك نظري، بل هي معرفةٌ قلبيةٌ وعمليةٌ تثمر تعظيم الله وعبادته وطاعته.جوانب معرفة العبد ربه كثيرة منها:

* معرفة وجود الله: وذلك بالإيمان القاطع بأن لهذا الكون

خالقًا ومدبرًا، وهو الله الأحد الصمد.

* وأيضا معرفة ربوبية الله: وذلك بالإقرار بأن الله هو الرب الخالق، المالك، المدبر لكل شيء.

* وأيضا معرفة ألوهية الله: وذلك بالإيمان بأن الله هو المستحق وحده للعبادة. لا يُعبد سواه، ولا يُصرف شيءٌ من العبادة لغيره.

* وأيضا معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا الواردة في القرآن والسنة، مثل الرحمن، الرحيم، السميع، البصير، العليم، الحكيم، القوي، العزيز، الحكيم، القدير، المتكبر، وغيرها. فمعرفة هذه الأسماء والصفات تزيد من خشية الله ومحبته ورجائه والخوف منه.

* وأيضا معرفة حكم الله وشرعه: وذلك بالإيمان بأن الله هو المشرع الوحيد، وأن أوامره ونواهيه هي الحق والصواب الذي يجب اتباعه.

باختصار معرفة العبد ربه هي حجر الزاوية في بناء الإيمان الصحيح، وهي المعرفة التي تزيل الشكوك، وتثبت اليقين، وتدفع الإنسان إلى الإقبال على ربه بالطاعة والعبادة. هذه المعرفة هي التي تجعل حياة المسلم ذات معنى وهدف، وتقوده إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الذِي رَبَّانِي، وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ [الفاتحة: ٢]. وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ.

هذا النص يتناول سؤالاً جوهرياً في عقيدة المسلم، وهو سؤال "من ربك؟" وتقدم إجابة واضحة ومختصرة، ثم

استدل عليه بدليل قرآني، واختتم النص بتوضيح مفهوم "العالمين".

"فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ؟"

هذا السؤال هو من أهم الأسئلة التي يواجهها الإنسان في حياته، وهو محور العقيدة الإسلامية. الإجابة عليه تحدد هوية الإنسان وعلاقته بخالقه. وهو سؤال يُفترض أن يطرحه الإنسان على نفسه ويتأمل فيه، كما أنه من الأ سئلة التي تُسأل في القبر.

قوله "فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الذِي رَبَّانِي، وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ"

هذه الإجابة تتضمن عدة محاور أساسية:

"رَبِّيَ اللهُ":

"ربي": تعني سيدي، مالكي، خالقي، مدبر أمري. لفظ "الرب" في اللغة العربية يحمل معاني متعددة تشمل الخلق

والملك والتدبير والإنعام والتربية.

"الله": هو الاسم الأعظم للذات الإلهية، وهو الاسم الذي تتضمنه جميع الأ سماء الحسنى والصفات العليا. لا يطلق هذا الاسم على أحد غير الله تعالى. ا لإقرار بأن "الله" هو الرب هو إقرار بالتوحيد الربوبية.

"الذِي رَبَّانِي":

هذا الجزء يؤكد على علاقة الله المباشرة بالفرد. الله هو الذي خلقني من العدم، ورعاني منذ أن كنت جنيناً، ونمّاني، وأمدني بالنعم الظاهرة والباطنة، وهداني، ويسر لي سبل العيش. هذه التربية ليست جسدية فقط، بل تشمل التربية الروحية والعقلية والنفسية.

"وَرَبّي جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ":

هذا توسيع لمفهوم الربوبية من الفرد إلى جميع المخلوقات. الله ليس رباً لي وحدي، بل هو رب كل ما سواه من الكائنات، سواء كانت مرئية أو غير مرئية، عاقلة أو غير عاقلة.

"بِنِعْمَتِهِ": هذه الكلمة شديدة الأهمية. فربوبية الله للعالمين ليست قهرية فقط، بل هي قائمة على النعم التي يسبغها عليهم. جميع النعم التي يتمتع بها الخلق، من رزق وصحة وهداية وأمن وغير ذلك، هي من فضل الله تعالى وكرمه.

"وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ":

"معبودي":

أي المستحق للعبادة والطاعة والخضوع والذل. العبادة تشمل جميع الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي يرضاها الله ويحبها، مثل الصلاة والصيام و الدعاء والتوكل والخوف والرجاء والمحبة.

"ليس لي معبود سواه":

هذا تأكيد قاطع على نفي الشرك بكل أشكاله. فلا يجوز أن يُصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى، سواء كان ذلك نبياً مرسلا ً، أو ملكاً مقرباً ، أو ولياً صالحاً، أو حجراً، أو شجراً، أو أي مخلوق آخر. هذا هو جوهر دعوة الأنبياء والرسل.

قوله "وَالدّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ

"الحَمْدُ لِلّهِ": "الحمد": هو الثناء على الله بصفاته الكمالية وأفعاله الجميلة الاختيارية. يختلف الحمد عن الشكر في أن الشكر يكون مقابل نعمة، بينما الحمد يكون على الصفات الذاتية لله وعلى أفعاله ونعمه أيضاً.

"لله": اللام هنا تفيد الملكية والاستحقاق. فجميع أنواع الحمد، بكل معانيها وكمالاتها، مستحقة لله وحده لا شريك له.

"رَبِّ الْعَالَمِينَ": هذه الجملة هي لب الاستدلال. فالآية تؤكد أن الله هو "رب العالمين". وهذا يؤيد ما ذكر في الإجابة بأن الله هو الذي "ربي جميع العالمين بنعمته". "رب العالمين" تعني: مالكهم، وخالقهم، ومدبر أمورهم، ومربيهم، ومنعمهم، والمتصرف فيهم بلا منازع.

قوله "وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ."

"وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ": "العالمين" في الآية ليست محصورة بالبشر فقط، بل تشمل كل ما خلقه الله وأوجده في هذا الكون الواسع. يدخل في ذلك: الملائكة، والجن، والإنس، والحيوانات، والنباتات،

والجبال، والبحار، والنجوم، والكواكب، والمجرات، وكل ذرة في هذا الوجود. لفظ "عالم" هو اسم جنس لا واحد له من لفظه، ويطلق على كل صنف من أصناف المخلوقات.

"وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ":

هذا الجزء يربط الفرد بهذا المفهوم الكوني الواسع. فالفرد ليس بمعزل عن بقية المخلوقات، بل هو جزء لا يتجزأ من هذا العالم الذي خلقه الله ودبره.

* هذا يرسخ في نفس المسلم شعوراً بالتواضع والعبودية لله، حيث يدرك أنه مجرد جزء صغير من هذا الكون الهائل الذي خلقه رب عظيم مدبر.

باختصار، هذه القطعة هي موجز شامل ومفيد لعقيدة التوحيد، تبدأ بسؤال جوهري، وتقدم إجابة واضحة ومدعومة بالدليل القرآني، مع توضيح لمفهوم أساسي، مما يجعلها قاعدة متينة لفهم أصول الدين.

فإذا قِيلَ لَكَ بِمَ عَرَفْتَ رَبّكَ ؟

فَقُلْ : بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ : اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ ، وَالقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السّمَوَاتُ السّبْعُ وَمَا فِيهِنّ ، وَالأَرَضُونَ السّبْعُ وَمَنْ فِيهِنّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدّلِيلُ قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ اليْلُ

وَالنّهَارُ وَالشّمْسُ وَالقَمَرُ الآية [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنّ رَبّكُمُ اللهُ الذِي خَلَقَ السّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتّةِ أيّامٍ ثُمّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الآية [الأعراف: ٥٤].

وَالرّبُ هُوَ المَعْبُودُ، وَالدّلِيلُ قَوْلُهُ تعَالَى: يَأيُهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبّكُمْ الذِي خَلَقَكُمْ وَالذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ ﴾ الآيتين [البقرة: ٢١،٢٢].

قَالَ ابْنُ كثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأ شْيَاءَ هُوَ المُسْتَحِقُ لِلعِبَادَةِ.

يقدم الؤلف رحمه الله سؤالا ً جوهريًا: بم تعرف ربك؟ ويقدم إجابة واضحة ومباشرة مستندة إلى الأدلة الشرعية والعقلية.

تتكون إجابته من شقين رئيسيين:

١. بآياته:

الآيات هي العلامات والدلائل الكونية التي تشير إلى عظمة الخالق وقدرته

. ومن الأمثلة التي ذكرها المؤلف رحمه الله :

الليل والنهار:

تعاقبهما المنتظم دليل على نظام دقيق لا يمكن أن ينشأ صدفة، بل هو بفعل خالق مدبر.

الشمس والقمر:

هذان الكوكبان العظيمان بحركتهما ودورهما في حياة الأرض يمثلان آيتين عظيمتين تدلان على قدرة الله البالغة.

٢. بمخلوقاته:

المخلوقات هي كل ما أوجده الله في هذا الكون.

ومن الأمثلة التي ذكرها المؤلف رحمه الله:

السموات السبع وما فيهن:

عظم هذه السموات واتساعها وما تحويه من نجوم وكواكب ومجرات، كلها تشهد على عظمة الخالق الذي أبدعها.

الأرضون السبع ومن فيهن: الأرض بما عليها من جبال وبحار ونباتات وحيوانات وبشر، وما في جوفها من كنوز، كلها دليل على قدرة الله الخالق ورزقه.

وما بينهما: يشمل ذلك كل ما لا يُحصى من المخلوقات في الفضاء بين السموات والأرض.ثم دعم المؤلف رحمه الله هذه الإجابة بآيات من القرآن الكريم:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: 37]:

هذه الآية تؤكد أن هذه الظواهر الكونية العظيمة (الليل، النهار، الشمس، القمر) هي من آيات الله الدالة على وحدانيته ووجوب عبادته وحده. وتنهى عن عبادة هذه المخلوقات وتأمر بعبادة خالقها.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]:

هذه الآية توضح أن الله هو الخالق لكل هذه الأكوان العظيمة في مدة معلومة، وتؤكد على استوائه على العرش (بما يليق بجلاله)، وتدبيره للأمر كله. وهذا كله دليل على أنه المستحق للعبادة.

والرب هو المعبود

أي فالذي خلق ورزق ودبّر، هو وحده المستحق للعبادة والطاعة.

والدليل أي القرآني على وجوب العبادة

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 21-22]:

هذه الآيات تأمر الناس جميعًا بعبادة الله وحده، وتذكرهم بنعمه العظيمة عليهم من خلقهم وخلق من قبلهم، وجعل الأرض فراشًا لهم، والسماء سقفًا، وإنزال الماء من السماء لإخراج الثمرات رزقًا لهم. كل هذه النعم تستوجب عبادته وحده وعدم الإشراك به.

قال ابن كثير رحمه الله: "الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة."

وهذا يلخص الفكرة المحورية للنص: أن من أوجد هذا الكون بكل ما فيه من عظمة ودقة، هو وحده الذي يستحق أن يُعبد ويُطاع. فالعقل السليم

والفطرة السوية تدلان على أن الخالق هو وحده المالك والمدبر والمستحق للعبادة.

وَأنْوَاعُ العِبَادَةِ التِي أمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ : الإ ِسْلَام، وَالإ يِمَان، وَالإ ِحْسَان، وَمِنْهُ:

الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإ ِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ،

وَالاسْتِغَاثَةُ

وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أنْوَاعِ العِبَادَةِ - التِي أمَرَ اللهُ - كُلُّهَا للهِ تَعَالَى، وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأنَّ المَسَاجِدَ لِلهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحدا [الجن: ١٨].

هذا النص يتناول في المؤلف رحمه الله موضوعًا جوهريًا في العقيدة

الإسلامية، وهو توحيد العبادة لله تعالى وحده.

قوله " وأنواع العبادة التي أمر الله بها" :

ابتدأ المؤلف رحمه الله النص بتحديد الإطار العام للعبادة، وهي تلك الأعمال التي أمر الله بها. ثم يذكر مستويات الدين الثلاثة الأساسية، والتي تشكل جوهر الإسلام:

* الإسلام: وهو الاستسلام الظاهري لله، ويشمل أداء الأركان الظاهرة

كالصلاة والصيام والزكاة والحج.

* الإيمان: وهو التصديق الباطني القلبي بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله، ويشمل الإيمان

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

* الإحسان: وهو أرفع المراتب، ويعني أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وهو يشمل إتقان العبادة

والإتيان بها على أكمل وجه مع استحضار مراقبة الله.

ثم بعد ذكره للمستويات العامة، ينتقل رحمه الله إلى تفصيل بعض أنواع

العبادات القلبية والقولية والعملية التي يجب أن تُصرف لله وحده. وهذا التفصيل يؤكد على شمولية العبادة وعدم اقتصارها على الشعائر الظاهرة فقط:

* الدعاء: وهو طلب العون والمساعدة من الله، سواء كان دعاء مسألة (طلب حاجات) أو دعاء عبادة (الثناء على الله

والتعظيم له). الدعاء هو لب العبادة، ولا يجوز دعاء غير الله.

* الخوف: وهو الخوف من الله وحده، خوف يتضمن تعظيمًا وتبجيلا ً، ويدفع إلى طاعته واجتناب معصيته. ولا يجوز الخوف من غير الله بما يضاهي الخوف منه.

* الرجاء: وهو الطمع في رحمة الله وثوابه، والأمل في قبول أعماله، مع بذل الأسباب المشروعة. ولا يرجى إلا الله.

* التوكل: وهو الاعتماد الكلي على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع

الأخذ بالأسباب المشروعة.

* الرغبة: وهي محبة فعل الطاعات والتقرب إلى الله.

* الرهبة: وهي الخوف الذي يدفع إلى الفرار من المعصية وطلب النجاة من عذاب الله.

* الخشوع: وهو لين القلب وسكونه وذله لله تعالى، يظهر في الجوارح.

* الخشية: وهي خوف مقرون بعلم وعظمة المخشى منه، وهو من صفات العلماء بالله.

* الإنابة: وهي الرجوع إلى الله بالتوبة والإقبال عليه بالطاعة.

* الاستعانة: وهي طلب العون والمساعدة من الله في جميع الأمور. ولا تجوز الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

* الاستعاذة: وهي طلب الحماية والعصمة من الشرور من الله تعالى.

* الاستغاثة: وهي طلب الغوث والإنقاذ في الشدائد والملمات من الله تعالى.

* الذبح: وهو إراقة الدم تقربًا إلى اللّٰه. ولا يجوز الذبح لغير اللّٰه كالأصنام أو الأولياء أو الجن.

* النذر: وهو إلزام المكلف نفسه بفعل طاعة معينة تقربًا إلى اللّٰه. ولا يجوز النذر لغير اللّٰه.

* وغير ذلك من أنواع العبادة: هذا يشير إلى أن القائمة ليست حصرية، وأن كل ما أمر اللّٰه به وحث عليه يدخل في مسمى العبادة.

قوله "كلها اللهِ تعَالَى"

أي أن جميع هذه الأنواع من العبادات يجب أن تصرف لله وحده لا شريك له.

قوله الدليل: قوله تعالى: ﴿ وَأَنّ المَسَاجِدَ لِلهِ فَلَا تدْعُوا مَعَ اللهِ أحدا [الجن: ١٨].

هذه الآية الكريمة نص صريح في وجوب إفراد اللّٰه بالعبادة. "المساجد" هنا قد يراد بها مواضع السجود التي هي أعضاء

الإنسان السبعة، أو المساجد المعروفة للصلاة. وفي كلتا الحالتين، المعنى العام أن جميع أشكال العبادة والتقرب لله، وأنها حق خالص لله تعالى.

ثم يأتي النهي الصريح: "فَلَا تدْعُوا مَعَ اللهِ أحدا"، أي لا تدعوا أحدًا مع اللّٰه في أي نوع من أنواع العبادة، سواء كان ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلًا أو وليًا

صالحًا أو حجرًا أو شجرًا.

هذا النهي يشمل الدعاء، ويشمل بالضرورة كل أنواع العبادات الأخرى المذكورة، لأن الدعاء هو من أعظم العبادات، وإذا نهي عن دعاء غير اللّٰه،

فالنهي عن صرف غيره من العبادات لغير اللّٰه من باب أولى.

فَمَنْ صَرَفَ مِنْ هَذِهِ الأشَيَاءِ لِغَيْرِ اللهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ كافِرُ، وَالدّلِيلُ : قوْلهُ تعَالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا وَآخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ، فَإِنمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنّهُ لَا يُفْلِحُ الكافِرُونَ ﴾ [المؤمنون:.[١١٧

والدُعَاءُ مُخُ العِبَادَةِ وَالدّلِيلُ : قوْلهُ تعَالى: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ [غافر : ٦٠].

قوله" فمن صَرَفَ مِنْ هَذِهِ الأشَيَاءِ لِغَيْرِ اللهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ كافِرُ، وَالدّلِيلُ : قوْلهُ تعَالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ، فَإِنمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنّهُ لَا يُفْلِحُ الكافِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]"

هذا الجزء من النص يؤكد على مبدأ أساسي وجوهري في

الإسلام، وهو التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى في جميع أنواع العبادة.

"فَمَنْ صَرَفَ مِنْ هَذِهِ الأشَيَاءِ لِغَيْرِ اللهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ كافِرٌ":

* "هذه الأشياء": يُقصد بها هنا جميع أنواع العبادات. العبادة في الإسلام مفهوم واسع يشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهذا يشمل الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والخوف، والرجاء، والاستعانة، والاستغاثة، والنذر، والذبح، وغيرها.

"صَرَفَ لِغَيْرِ اللهِ": أي وجه هذه العبادات أو شيئًا منها لغير الله تعالى.

مثلا ً، لو دعا شخص غير الله (مثل نبي، ولي، أو صنم)، أو استغاث بميت ، أو نذر لقبر، أو ذبح لغير وجه الله تقربًا لغيره.

"فَهُوَ مُشْرِكٌ كافِرٌ": هذه نتيجة خطيرة جدًا.

مشرك: لأنه أشرك مع الله في حقه الخاص بالعبادة. الشرك هو أعظم الذنوب على الإطلاق، وهو الظلم العظيم.

كافر: لأن الشرك الأكبر يخرج صاحبه من ملة الإسلام. وهذا حكم شرعي

صارم لا يقبل التأويل إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع. من يوجه أي نوع من العبادة لغير الله، فقد نقض أصل التوحيد الذي هو أساس الإسلام.

قوله وَالدّلِيلُ : قوْلهُ تعَالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهًا آخرَ لا بُرْهَانَ لهُ بِهِ، فَإِتمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِته لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]":

"وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهًا آخرَ":

"يدعو" هنا ليست مقصورة على الدعاء اللساني فقط، بل تشمل كل أنواع الدعاء، سواء دعاء المسألة (طلب الحاجات) أو دعاء العبادة (التوجه

بالعبادة). و"إلهًا آخر" يعني أي معبود أو مدعو غير الله سبحانه وتعالى، سواء كان صنمًا، أو نجمًا، أو إنسانًا (حيًا أو ميتًا)، أو جِنًا، أو أي مخلوق آخر.

"لا بُرْهَانَ لهُ بِهِ":

هذه الجملة تأكيد على أن الشرك مبني على الباطل، ليس له أي حجة أو دليل عقلي أو نقلي. لا يوجد أي دليل يبرر عبادة غير الله. الحق الوحيد هو عبادة الله وحده.

"فَإِتمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ":

هذا وعيد شديد وتهديد لكل من يشرك بالله. فالله هو الذي سيحاسبه حسابًا عسيرًا على هذا الجرم العظيم. لا أحد غير الله يستطيع أن يغفر الشرك لمن مات عليه.

"إِته لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ":

هذه هي الخلاصة والنتيجة النهائية. الفلاح هو الفوز والنجاح في الدنيا

والآخرة، والنجاة من العذاب ودخول الجنة. والآية تؤكد أن الكافرين

(والمشركين هنا هم في حكم الكافرين) لن يفلحوا أبدًا. لن ينالوا مرادهم، وسيكون مصيرهم الخسران والعذاب الأليم في نار جهنم.

قوله "الدعاء مخ العبادة"

يُعدّ الدعاء من أجلّ العبادات وأعظم القربات إلى الله تعالى، وقد وردت في فضله نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية. ومن الأحاديث التي

يكثر تداولها في هذا الشأن حديث "الدعاء مخ العبادة". فما هو معنى هذا

فالحديث بلفظ "الدعاء مخ العبادة" يعني أن الدعاء هو خلاصة العبادة ولبها وجوهرها. ولفظ "المخ" يُطلق على خلاصة الشيء وأفضله وأزكاه. فكما أن المخ هو الجزء الأهم في العظم الذي به قوامه، كذلك الدعاء هو الجزء الأهم في العبادة الذي به صلاحها وقوامها.

وذلك لأن العبادة تُعدّ تجليًا للخضوع والتذلل لله تعالى، وهذا المعنى يتجلى أتم التجلي في الدعاء

وأما بخصوص صحة هذا الحديث، فهو حديث ضعيف لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ.

وقد رواه الترمذي في سننه بلفظ: "الدعاء هو العبادة" ثم قال: "هذا حديث حسن صحيح".

والحديث الذي رواه الترمذي بلفظ: "الدعاء هو العبادة" هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

"وَالدّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ [غافر : ٦٠].":

"وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ":

هذا أمر إلهي مباشر من الله تعالى لعباده أن يدعوه. والأمر هنا بالدعاء، ووعد من الله بالاستجابة. وهذا يدل على محبة الله لأن يسمع دعاء عباده، وقربه منهم.

"إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي":

هذه هي الشاهد الأهم. الله تعالى بعد أن أمر بالدعاء ووعد

بالاستجابة، قال: "إن الذين يستكبرون عن عبادتي". هنا، سمى الله الدعاء "عبادة". وهذا تأكيد قاطع على أن الدعاء ليس مجرد طلب، بل هو عبادة عظيمة.

يستكبرون عن عبادتي: المقصود بالاستكبار هنا هو الإعراض عن الدعاء لله تعالى، أو عدم الإيمان بقدرته على الاستجابة، أو العزوف عن طاعته

وعبادته بشكل عام، بما في ذلك الدعاء. ومن يستكبر عن دعاء ربه، فكأنه يستكبر عن عبادته.

"سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ":

هذا وعيد شديد لمن يستكبر عن عبادة الله (والتي من أهم مظاهرها الدعاء).

داخرين: أي أذلاء صاغرين. وهذا يناسب جزاء المتكبر، فجزاؤه الذل

والمهانة في نار جهنم.

وَدَلِيلُ الخَوْفِ : قوْلهُ تعَالى: ﴿فَلَا تخَافُوهُمْ وَخَافُون إن كنتُم مُؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران : ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرّجَاء: قوْلهُ تعَالى: ﴿فَمَن كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبّهِ أحدا﴾ [الكهف: ١١٠].

في هذا النص يتحدث المؤلف رحمه الله عن ركنين أساسيين من أركان العبادة القلبية في الإسلام وهما: الخوف والرجاء، ويستدل على كل منهما بآية قرآنية كريمة.

ودليل الخوف: قوله تعالى ﴿فَلَا تخَافُوهُمْ وَخَافُون إن كنتُم مُؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران : ١٧٥].

"فَلَا تخَافُوهُمْ": هذه الجملة تنهى عن خوف المخلوقين، وخاصةً من قد يحاولون إخافة المؤمنين أو تثبيطهم عن دينهم. يشمل ذلك الخوف من الناس، أو من قواهم، أو من تهديداتهم، أو من أي شيء لا يملك لنفسه نفعًا

ولا ضرًا إلا بإذن الله. هذا النهي يرسخ مبدأ التوكل على الله وعدم الالتفات إلى المخاوف الدنيوية التي قد تصرف الإنسان عن الحق.

"وَخَافُون":

هذا هو الأمر المقابل والأساسي. يأمر الله تعالى المؤمنين بأن يخافوه وحده. هذا الخوف ليس خوف الجزع أو اليأس، بل هو خوف توقير وتعظيم وإجلال، خوف يدفع إلى الطاعة والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه. إنه الخوف الذي ينشأ عن معرفة عظمة الله وقدرته المطلقة، وعن معرفة أنه هو وحده الذي يملك النفع والضر، وهو الذي يجازي على

الأعمال.

"إن كنتُم مُؤْمِنِينَ" هذه الجملة شرطية وشرطها هو الإيمان. تدل على أن

الخوف من الله وحده وترك خوف ما سواه هو علامة وشرط للإيمان الصادق الكامل. فالمؤمن الحقيقي هو من يوقن بأن الله هو المتصرف في الكون، وهو الذي يستحق الخوف منه وحده. إذا كان الإيمان صحيحاً، فلابد أن يثمر هذا الخوف في القلب، وإذا غاب هذا الخوف، فإن ذلك يشير إلى ضعف أو نقص في الإيمان.

ودليل الرجاء: قوله تعالى: ﴿فَمَن كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّه، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحدا﴾ [الكهف: ١١٠].

"فَمَن كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ": "الرجاء" هنا هو الأمل في رحمة الله وفضله وثوابه، والطمع في لقائه ورؤيته في الجنة. لقاء الله يشمل الجزاء

والحساب، ولكنه أيضاً يشمل رؤيته تعالى وهو أعظم نعيم أهل الجنة. هذا الرجاء ليس مجرد أمنية فارغة، بل هو أمل يدفع للعمل. إنه الشعور بالثقة في وعد الله وحبه لخير عباده.

"فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا": هذا هو الثمرة العملية للرجاء. إذا كان الإنسان يرجو لقاء ربه ويكرمه، فلابد أن يستعد لهذا اللقاء بالعمل الصالح. العمل الصالح هو كل قول أو فعل يرضي الله تعالى، ويكون مطابقاً للشرع، ومبنياً على

الإخلاص والمتابعة لسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا يشمل أداء الواجبات، والقيام بالنوافل، وترك المحرمات، وحسن التعامل مع الخلق. الرجاء الصحيح هو الذي يدفع للجد والاجتهاد في العبادة والطاعة.

"وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحدا": هذا هو الشرط الثاني والأساسي لقبول العمل الصالح، وهو النفي المطلق للشرك بجميع أنواعه. فالعمل الصالح لا يقبل إلا إذا كان خالصاً لوجه الله تعالى، لا يشاركه فيه أحد من المخلوقين (سواء كان صنماً، أو بشراً، أو شهوة نفس، أو رياء). هذا التأكيد على التوحيد الخالص هو حجر الزاوية في الإسلام، فمهما كثر العمل الصالح، إذا شابه شرك، فإنه يحبط. هذا يشمل الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة،

والشرك الأصغر كالرياء والتسميع، الذي ينقص من أجر العمل أو يمحوه.

*من المهم جداً فهم أن الخوف والرجاء لا ينفصلان في

الإسلام، بل هما كجناحي الطائر، لا يطير إلا بهما معاً.

* الخوف: يمنع من المعصية، ويدفع إلى التوبة والإنابة، ويحفز على أداء الواجبات.

* الرجاء: يبعث الأمل في رحمة الله ومغفرته، ويدفع إلى

الاجتهاد في الطاعات، ويمنع من اليأس والقنوط.

يجب على المسلم أن يعبد الله بهذين الركنين العظيمين، فلا يغلب الخوف فييأس من رحمة الله، ولا يغلب الرجاء فيأمن مكر الله ويتساهل في المعاصي. بل يكون بينهما، يرجو رحمة ربه ويخشى عذابه.

ودليل التوَكّل : قوْلهُ تعَالى: ﴿وَعَلَى اللهِ

فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ [المائدة: ٢٣] ،

وَقوله: مَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ :[الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرّغبَةِ، وَالرّهبَةِ، وَالخُشُوعِ قوْلهُ

تعَالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [الأنبياء: ٩٠].

يتناول هذا النص القرآني الكريم أربع خصال إيمانية عظيمة هي: التوكل،

والرغبة، والرهبة، والخشوع، ويقدم أدلة واضحة على أهميتها من كتاب الله تعالى.

أولا: دليل التوكل:يعرف التوكل بأنه الاعتماد الكلي على الله سبحانه وتعالى في جلب النفع ودفع الضر، مع الأخذ بالأسباب المشروعة. إنه قمة الثقة

بالله واليقين بقدرته وعلمه وحكمته.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ [المائدة: ٢٣]﴾

هذه الآية الكريمة تأمر المؤمنين بالتوكل على الله وحده. كلمة "وعلى الله" بتقديم الجار والمجرور (على الله) تفيد الحصر والقصر، أي: توكلوا على الله وحده لا على غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ [الطلاق: ٣]﴾

هذه الآية تعد عظيمة من الله تعالى لمن يتوكل عليه. "حسبه" تعني: كافيه. أي أن الله سيكون كافيه في كل ما أهمه من أمر دينه ودنياه.

ثانيا: دليل الرغبة، والرهبة، والخشوع:

هذه الخصال الثلاث غالبًا ما تتلازم في عبادة المؤمن، وتدل على صدق إقباله على الله.

الآية الجامعة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [الأنبياء: ٩٠]﴾.

هذه الآية تتحدث عن الأنبياء والصالحين وصفاتهم العظيمة التي جعلتهم

أهلا ً لرضوان الله واستجابة دعائهم.

* يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ: يدل على حرصهم الشديد على فعل الطاعات

والقربات، وعدم التسويف فيها. إنهم يغتنمون الفرص لفعل الخير، ويتنافسون فيه.

يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا: الرغبة: هي الطمع في ثواب الله وجنته، والأمل في فضله وكرمه، وحب لقائه. تدفعهم إلى الطاعة طلبًا لما عند الله من خير.

الرهبة: هي الخوف من عقاب الله، ومن سخطه، ومن ناره. تدفعهم إلى ترك المعاصي والفرار من غضب الله.

* المعنى: أن دعاءهم لله كان جامعًا بين الرجاء في رحمته والخوف من عقابه. فهم لا يدعون الله برغبة مجردة عن الخوف فتؤدي إلى الأمن من مكر الله، ولا برهبة مجردة عن الرجاء فتؤدي إلى اليأس من رحمة الله. بل يجمعون بينهما، وهذا هو حال المؤمن الصادق الذي يرجو ويخاف.

فالجمع بين الرغبة والرهبة في الدعاء والعبادة هو أساس التوازن في

العلاقة مع الله. فالمؤمن يعبد الله حبًا وطمعًا في جنته، وخوفًا من ناره، وهذا يجعله مستقيمًا على أمر الله، لا يطغى ولا ييأس.

وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ: الخشوع: هو لين القلب، وسكون الجوارح، والتذلل لله تعالى، والخضوع لهيبته وعظمته. يتجلى في الطمأنينة والتواضع في العبادة، وفي ترك الكبر والبطر.

المعنى: أن قلوبهم كانت مطيعة لله، منقادة لأمره، مطمئنة بذكره، غير متكبرة ولا متجبرة.

وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ: قَوْلهُ تعَالى: ﴿فَلَا تخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي

[البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإ ِنابَةِ : قَوْلهُ تعَالى: ﴿وَأنِيبُوا إِلى رَبِّكمْ وَأسْلِمُوا لهُ [الزمر : ٥٤] .

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانةِ : قَوْلهُ تعَالى: ﴿إِيَّاكَ نعْبُدُ وَإِيَّاكَ نسْتَعِينُ ، وَفِي الحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ: قَوْلهُ تعَالى: ﴿فَلَا تخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي [البقرة: ١٥٠].

الخشية هي نوع من الخوف المقترن بالتعظيم والعلم بالمخشي منه. إنها ليست مجرد خوف عادي، بل هي خوف من قوة وقدرة وعظمة من تخشاه، مع شعور بالضعف أمامه.

هذه الآية الكريمة تأمر المؤمنين بأن لا يخشوا الناس أو المخلوقات أو أي شيء آخر يثير الرهبة في نفوسهم، بل أن يخصوا الله وحده بالخشية.

"فَلَا تخْشَوْهُمْ": "هم" هنا تشير إلى الكفار، أو المعاندين، أو أي جهة أخرى قد تحاول ثني المؤمن عن دينه أو إخافته. الآية تنهى عن إعطاء هؤلاء أو غيرهم الخشية التي لا تليق إلا بالله. فخشية المخلوقين قد تؤدي إلى طاعتهم في معصية الله، أو ترك ما أمر به الله خوفًا منهم.

"وَاخْشَوْنِي": هذا أمر صريح بوجوب إفراد الله تعالى بالخشية. الخشية من الله هي التي تدفع العبد إلى طاعته، واجتناب معصيته، ومراقبة أمره ونهيه، وتعظيمه وإجلاله. وهي علامة على

الإيمان الصادق والعلم بالله تعالى. فالذي يخشى الله حق خشيته، لا يبالي بالناس أو بتهديداتهم ما دام على الحق.

وَدَلِيلُ الإ ِنابَةِ : قَوْلهُ تعَالى: ﴿وَأنِيبُوا إِلى رَبِّكمْ وَأسْلِمُوا لهُ [الزمر : ٥٤] .

الإنابة هي الرجوع المتكرر إلى الشيء، أو الرجوع إلى الله

بالتوبة والطاعة والالتجاء إليه في كل الأمور. وهي تتضمن معنى التوبة

والندم على ما فات، والعزم على عدم العودة، والتوجه إلى الله بكل القلب.

هذه الآية تحمل أمرًا إلهيًا للمؤمنين بالعودة الصادقة والتامة إلى الله تعالى.

"وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ": هذا أمر بالرجوع إلى الله بكل صور الرجوع:

* الرجوع إليه بالتوبة من الذنوب والمعاصي، والندم عليها، والعزم على عدم العودة.

* الرجوع إليه بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، والاجتهاد في العبادات.

* الرجوع إليه بالدعاء والتضرع والافتقار إليه في كل شؤون الحياة.

* الرجوع إليه بالاعتماد عليه وحده في جلب المصالح ودفع المضار.

كل هذه المعاني تندرج تحت مفهوم "الإنابة"، فهي تدل على التوجه القلبي والعملي نحو الله.

"وَأَسْلِمُوا لَهُ": هذا الجزء يؤكد معنى التسليم المطلق لله تعالى.

الإسلام هنا بمعنى الاستسلام والانقياد التام لأمر الله وشرعه وقدره.

فالمسلم الحقيقي هو الذي يسلم أمره كله لله، ولا يعترض على حكمه، ويرضى بقضائه، وينفذ أمره بصدق

وإخلاص. وهو يتكامل مع الإنابة؛ فمن أناب إلى ربه، أسلم له، ومن أسلم له، أناب إليه.

الآية تدعو إلى العودة الصادقة والكاملة إلى الله بالتوبة

والطاعة والاعتماد عليه، مع التسليم المطلق لإرادته وشرعه، وهذا هو جوهر العبودية والإيمان الحق.

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، وَفِي الحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ» .

الاستعانة هي طلب العون والمساعدة من الغير. في سياق العبادة، هي

طلب العون من الله وحده في كل الأمور.

الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥):

هذه الآية من أعظم آيات القرآن الكريم، وهي جوهر سورة الفاتحة التي نقرؤها في كل ركعة من صلاتنا.

"إِيَّاكَ نَعْبُدُ": تقديم "إياك" هنا يدل على الحصر والقصر، أي: لا نعبد إلا أنت وحدك يا الله. هذا إقرار بالتوحيد في العبادة، وأن العبادة بكل أنواعها (صلاة، صيام، حج، دعاء، خشية، رجاء، توكل، إلخ) يجب أن تصرف لله وحده لا شريك له.

* "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ": وكذلك، تقديم "إياك" هنا يدل على الحصر، أي: لا نطلب العون إلا منك وحدك يا الله. هذا إقرار بالتوحيد في الاستعانة، بمعنى أن الاعتماد الكلي في تحصيل المصالح ودفع المضار، وفي تيسير الأمور كلها ، هو على الله وحده.

لا يجوز للمسلم أن يطلب العون الذي لا يقدر عليه إلا الله من غير الله (مثل شفاء الأمراض التي استعصت على الأسباب، أو طلب الرزق من ميت، أو طلب النصر في معركة من قبر ولي). أما الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه (مثل طلب المساعدة في حمل شيء ثقيل، أو استشارة طبيب، أو طلب المساعدة المالية من غني)، فهذا جائز، بشرط ألا يعتقد أن هذا المخلوق هو المستقل بالنفع أو الضر.

«إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»:

هذا جزء من حديث عظيم رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو يوجه الأمة إلى هذا المبدأ العظيم: "إذا سألت فسل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله".

* "إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ": هذا تأكيد نبوي على ما ورد في القرآن. مهما كانت الظروف، ومهما كانت التحديات، ومهما عظمت الحاجة، فإن التوجه بالطلب والاستعانة يجب أن يكون إلى الله وحده. هذا يربي المؤمن على التوكل المطلق على الله، واليقين بأن الله هو المعين الحقيقي، وأن أسباب البشر لا تعمل إلا بإذنه وقدرته.

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ * إلى آخر السورة [الناس : ١ - ٦].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾

الآية[الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ (١). وَدَلِيلُ النَّذْرِ : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا [الإنسان: ٧].

هذا النص يتناول أدلة شرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية لأربعة أنواع من العبادات أو الأعمال التعبدية:

الاستعاذة، الاستغاثة، الذبح، والنذر. سأقوم بتفسير مفصل لكل منها:

ودليل الاستعاذة:: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ * إلى آخر السورة [الناس : ١ - ٦]."

الاستعاذة: هي طلب العوذ والالتجاء والتحصن بالله تعالى من كل مكروه وشر، سواء كان ذلك الشر من الجن أو الإنس أو النفس أو غيرها. إنها إعلان الفاقة والحاجة إلى الله وحده، وأنه هو القادر على دفع الضر وجلب النفع.

"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ":

قل أيها النبي، ألتجئ وأتحصن برب الناس كلهم، الذي خلقهم ورعاهم ودبر أمرهم.

"مَلِكِ النَّاسِ": هو المالك الحقيقي لجميع الناس، المتصرف في شؤونهم،

فلا ملك سواه يستطيع أن يحمي أو يضر.

"إِلَهِ النَّاسِ": هو المعبود الحق الوحيد الذي يستحق العبادة من جميع

الناس، ولا إله غيره يُلجأ إليه أو يُطلب منه العون.

دليل الاستغاثة: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾

الآية [الأنفال: ٩]." الاستغاثة: هي طلب الغوث والعون والنصرة من الله تعالى عند الشدة والضيق والهلاك. هي أخص من الدعاء، حيث تكون في المواقف العصيبة التي لا يملك الإنسان فيها حولًا ولا قوة إلا بالله.

"إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ":تذكروا أيها المؤمنون عندما كنتم في حالة ضعف وقلة، وطلبتم الغوث من ربكم بصدق وتضرع، فاستجاب لكم الله دعاءكم وطلبكم.

هذه الآية دليل واضح على جواز الاستغاثة بالله تعالى، بل إنها من أعظم صور التوكل عليه وإظهار الافتقار إليه. وهي تؤكد أن الله سبحانه وتعالى هو وحده القادر على إغاثة عباده في الشدائد، وأنه يستجيب لمن يخلص في الاستغاثة به. فإذا كان الأمر خارجًا عن قدرة البشر، فالاستغاثة تكون لله وحده. أما الاستغاثة بالمخلوق الحي القادر على المساعدة في أمر يقدر عليه ، فهي جائزة بشرط ألا يعتقد أن لهذا المخلوق قدرة ذاتية خارجة عن مشيئة الله.

ودليل الذبح قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]. وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ. الذبح (العبادي): هو إراقة الدم بقصد التقرب إلى الله تعالى وتعظيمه، مثل الأضاحي والهدايا والعقائق. الذبح هنا لا يُقصد به مجرد ذبح الحيوان

للأكل، بل هو عمل تعبدي خالص لله.

"قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي": قل أيها النبي، إن صلاتي التي هي عماد الدين، ونسكي أي ذبحي وقرابيني التي أتقرب بها إلى الله.

"وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ": وحياتي كلها ومماتي كليهما لله وحده، رب العالمين الذي خلقهم ورزقهم ويدبر أمرهم، لا يشاركه أحد في ذلك.

* دلالة الآيات: هذه الآيات تؤكد أن الذبح الذي يُقصد به التقرب والعبادة

يجب أن يكون خالصًا لله وحده لا شريك له. فكما أن الصلاة لا تكون إلا لله، فكذلك الذبح. هذا يدخل في صميم التوحيد، وهو تحريم الذبح للأصنام أو

للأولياء أو لأي مخلوق بقصد العبادة والتعظيم.

ومن السنة: "«لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»

هذا الحديث يؤكد بشدة على خطورة الذبح لغير الله، ويعتبره من الكبائر التي تستوجب اللعنة والطرد من رحمة الله. وهذا يشمل الذبح للأصنام، أو

للأضرحة، أو للقبور، أو لأي مخلوق بقصد التعبد والتقرب، وهو من الشرك

الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة.

ودليل النذر: قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا [الإنسان: ٧]."

النذر: هو إلزام المكلف نفسه بفعل طاعة لم تكن واجبة عليه في الأصل، تعظيمًا لله تعالى وشكرًا لنعمته، أو طلبًا لقضاء حاجة. مثل أن يقول: "إن شفى الله مريضي، فلله علي أن أصوم كذا يومًا" أو "أن أتصدق بكذا".

"يُوفُونَ بِالنَّذْرِ": من صفات هؤلاء الأبرار أنهم يلتزمون ويتمون ما ألزموا به أنفسهم من نذور الطاعة لله.

"وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا": ويفعلون ذلك خوفًا من يوم القيامة ، الذي يكون شره وبلاؤه منتشرًا وعظيمًا لا يستطيع أحد أن ينجو منه إلا برحمة الله وعمله الصالح.

هذه الآية تدل على مشروعية النذر الذي يكون لله تعالى، وعلى مدح الله للموفين بنذورهم. وهذا يعني أن النذر عبادة عظيمة، وإذا كان لله فهو قربة وطاعة. ولكن يجب أن يكون النذر لله وحده، فلو نذر شخص لغير الله (كأن يقول: "نذرت لفلان الولي كذا")، فهذا النذر باطل وغير جائز، لأنه صرف عبادة لغير مستحقها وهو من الشرك.

الأصل الثاني :م َعْرِفَةُ دِينِ الإ ِسلام بِالأ َدِلَّةِ :

وَهُوَ : الاسْتِسْلَامُ لله ِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْخُلُوصُ مِنَ الشّرْكِ.

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ الإ ِسْلَامُ، وَالإ ِيمَانُ، وَالإ ِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

يبدأ المؤلف رحمه الله هذا النص بتعريف الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد:

هذا يعني إفراد الله تعالى بالعبادة، والاعتقاد بأنه واحد لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته. فالمسلم يسلم قلبه وجوارحه لله وحده، لا يشرك به أحدًا في العبادة من دعاء أو استعانة أو غيرها.

والانقياد له بالطاعة: يعني الخضوع لأوامر الله ونواهيه، والامتثال لشرعه في كل جوانب الحياة. فالإسلام ليس مجرد اعتقاد بالقلب، بل هو تطبيق عملي لشريعة الله في السلوك والأخلاق والمعاملات.

والخلوص من الشرك: هذا يؤكد على أهمية البراءة من الشرك بجميع أنواعه، سواء كان شركًا أكبر مخرجًا من الملة كالعبادة لغير الله، أو شركًا أصغر كالرياء والحلف بغير الله، مما ينقص كمال التوحيد.

و يوضح المؤلف رحمه الله في هذا النص أن الدين الإسلامي يتكون من

ثلاث مراتب متكاملة، كل مرتبة منها أعلى من التي قبلها، وكلها تشكل بناء الدين:

الإسلام: وهي المرتبة الأولى، وتُعنى بالأعمال الظاهرة التي يقوم بها المسلم. وتشمل أركان الإسلام الخمسة المعروفة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، إقام الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا. هذه الأركان هي أساس الدين الظاهر.

الإيمان: وهي المرتبة الثانية، وتتعلق بالاعتقادات القلبية الباطنة. وتشمل أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. هذه الأركان تمثل القاعدة العقدية التي يقوم عليها دين المسلم.

الإحسان:وهي المرتبة الثالثة والأعلى، وتعني بلوغ درجة الإتقان والكمال في العبادة والأعمال. وقد عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بأن "تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". هذه المرتبة تركز على استحضار مراقبة الله والخوف منه ورجائه في كل عمل، مما يدفع المسلم إلى أداء عباداته ومعاملاته بأكمل وجه وإخلاص نية.

فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: وَالدّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ

حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُوْلُ اللهِ

: بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ

إِلَّا اللهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ .

فَدَلِيلُ الشّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنّهُ لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨].

وَمَعْنَاهَا : لَا مَعْبُودَ بِحَقّ إِلّا اللهُ وَحَدَهُ، وَ(لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلّا اللهُ ُ)

مُثْبِتًا العِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

يتحدث المؤلف رحمه الله في هذا النص عن أركان الإسلام الخمسة، وهي الأسس التي بني عليها الدين الإسلامي.

هذه الأركان هي بمنزلة الأعمدة التي يقوم عليها بناء الإسلام، ولا يكتمل إسلام المرء إلا بالإتيان بها جميعًا.

الدليل من السنة حديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ."

هذا الحديث يوضح بشكل جلي وبلا لبس أن الإسلام يقوم على خمسة أركان أساسية، وهي:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله:

وهي الركن الأول والأساس الذي لا يقوم الدين إلا به.

وإقام الصلاة: أداء الصلوات الخمس المفروضة في أوقاتها وبشكل صحيح.

وإيتاء الزكاة: إخراج جزء معلوم من المال للفقراء والمساكين عند بلوغه النصاب الشرعي.

وصوم رمضان: الامتناع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من الفجر إلى المغرب خلال شهر رمضان المبارك.

وحج بيت الله الحرام: زيارة الكعبة المشرفة وأداء مناسك الحج لمن استطاع إليه سبيلًا.

بعد أن ذكر المؤلف رحمه الله الحديث انتقل لذكر الركن

الأول وهو الشهادة، ويقدم دليلًا عليها من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨].

هذه الآية الكريمة تؤكد بوضوح عظمة التوحيد، حيث يشهد الله سبحانه وتعالى بنفسه، وتشهد الملائكة، ويشهد أولو العلم (أصحاب المعرفة والعلم الحقيقي) بأنه لا إله إلا هو. هذا الإشهاد يأتي مقرونًا بوصفه سبحانه وتعالى بأنه "قائمًا بالقسط" أي العدل، وبأنه "العزيز الحكيم".

"وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ، وَ(لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلَّا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ."

هذا الشرح يبين أن شهادة "لا إله إلا الله" تتكون من شقين أساسيين:

"لَا إِلَهَ" (لا معبود): هذا الجزء هو نفي قاطع لكل ما يُعبد من دون الله. إنه إبطال لألوهية أي شيء أو شخص سوى الله. هذا يشمل الأصنام، الأوثان، البشر، الملائكة، الجن، أو أي مخلوق آخر يعبد من دون الله. فلا يوجد إله حقيقي يستحق العبادة إلا الله وحده.

"إِلَّا اللهُ" (إلا الله): هذا الجزء هو إثبات للعبادة لله وحده. بعد نفي الألوهية

عن كل ما سواه، يتم حصر العبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى. هذا يعني أن كل أنواع العبادة، من صلاة، وصيام، ودعاء، ونذر، واستغاثة، وتوكل، وغيرها، يجب أن تكون موجهة لله وحده، بلا شريك.

وتَفْسِيرُهَا : الَّذِي يُوَضّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٢) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّندُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران : ٦٤].

هذا النص القرآني يتحدث عن محور أساسي في الإسلام وهو التوحيد، أي إفراد الله بالعبادة ونبذ الشرك.

ويفسر المؤلف رحمه الله كلمة التوحيد من خلال آيتين كريمتين:

الآية الأولى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٢) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)﴾

هذه الآية تحكي قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه. يوضح إبراهيم لهم براءته من معبوداتهم الباطلة، ويعلن إيمانه الخالص بالله وحده الذي خلقه وأنشأه. يؤكد أن الله هو الذي سيهديه إلى الطريق المستقيم.

"وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون":

هذا الجزء يشير إلى أن إبراهيم عليه السلام جعل هذه الكلمة (أي كلمة التوحيد، وهي: "لا إله إلا الله" أو معناها: "لا أعبد إلا الله") باقية ومستمرة في ذريته من بعده. الهدف من ذلك هو أن يظلوا متمسكين بالتوحيد الخالص، وأن يرجعوا إليه كلما انحرفوا أو وقعوا في الشرك. هذا يدل على أهمية التوحيد كركيزة أساسية للدين، والتي يجب أن تنتقل من جيل إلى جيل.

الآية الثانية:﴿قُلْ يَتَأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّندُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا

فَقولوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾. هذه الآية الكريمة توجه خطابًا من الله تعالى إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ليخاطب بها أهل الكتاب (اليهود

والنصارى). يدعوهم إلى كلمة واحدة، مشتركة وعادلة، وهي "كلمة التوحيد".

"أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ": هذا هو جوهر التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة دون سواه.

"وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا": تأكيد على نفي أي نوع من أنواع الشرك، سواء كان شركًا أكبر أو أصغر. فالله لا شريك له في ملكه ولا في ألوهيته ولا في ربوبيته.

"وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ":

هذا الجزء يحذر من اتخاذ البشر بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله. وهذا يشمل طاعة البشر في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، أو الإذعان لهم في غير طاعة الله، أو الخضوع لهم خضوعًا لا يليق إلا بالله. فالتشريع والتحليل والتحريم إنما هو لله وحده.

"فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ": إذا رفض أهل الكتاب هذه الدعوة إلى التوحيد الخالص، فعلى المسلمين أن يشهدوا أنهم متمسكون بالإسلام، ومستسلمون لأمر الله، ومتبعون لدينه الحنيف. هذا يدل على أن الإسلام هو دين التوحيد الخالص الذي لا يقبل الشرك بأي شكل من الأشكال.

* من قصة إبراهيم عليه السلام: نتعلم أن التوحيد هو أساس النجاة

والهداية، وأن الأنبياء كانوا يدعون أقوامهم إلى إفراد الله بالعبادة، ونبذ كل أشكال الشرك. كما أن هذا المبدأ يجب أن ينتقل عبر الأجيال ليحافظ على نقاء العقيدة.

* من دعوة أهل الكتاب: نتعلم أن الإسلام يدعو إلى المشترك الإنساني العظيم وهو عبادة الله وحده دون شريك، ونبذ كل أشكال التبعية والخضوع لغير الله في التشريع والتحليل والتحريم. وأن هذا هو أساس كل الرسالات السماوية.

وَدِليلُ أنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تعَالَى: لقَدْ جَاءَكمْ رَسُولٌ مِّنْ أنفسِكمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكم بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَألّا يُعْبَدَ اللهُ إلّا بِمَا شَرَعَ.

في هذا النص يتناول المؤلف رحمه الله نقطتين أساسيتين: الدليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومعنى شهادة "أن محمدًا رسول الله".

الدليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

الآية الكريمة من سورة التوبة (الآية 128) التي استشهدت بها هي: ﴿ لقَدْ جَاءَكمْ رَسُولٌ مِّنْ أنفسِكمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكم بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128].

هذه الآية الكريمة تحمل في طياتها عدة دلائل وبراهين على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكونه رسولًا من عند الله:

* "لقَدْ جَاءَكمْ رَسُولٌ مِّنْ أنفسِكمْ":

هذا الجزء يؤكد على أن الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم هو من جنس البشر، وليس ملكًا أو كائنًا من نوع آخر. هذا التعبير يحمل معنيين هامين:

* النسب البشري: هو منكم، يعرف لغتكم، ثقافتكم، وعاداتكم، مما يجعله قدوة يمكن الاقتداء بها، ويسهل على الناس فهم رسالته وتطبيقها في حياتهم. لو كان ملكًا، لاستصعب الناس الاقتداء به.

* الألفة والانسجام: كونه من "أنفسهم" يخلق نوعًا من القرب والألفة، ويزيل حواجز الغرابة والنفور. الناس بطبيعتهم يميلون إلى من يشبههم ويفهمهم.

"عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ": هذه الجملة تصف إحدى أهم صفات الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي شدة حرصه على أمته ورفقه بها. "عَزِيزٌ عَلَيْهِ" تعني يشق عليه ويتألم من أجلكم. "مَا عَنِتُمْ" أي ما يصيبكم من مشقة أو تعب أو

ضرر. هو صلى الله عليه وسلم لا يحب أن تقع أمته في الحرج أو الضيق، ويسعى دائمًا للتخفيف عنها وتيسير أمورها، وهذا يظهر في كثير من أحكامه وتشريعاته التي جاءت برفع الحرج والتخفيف.

"حَرِيصٌ عَلَيْكُم": هذه الصفة تؤكد على اهتمامه البالغ بهداية أمته وصلاح شأنها في الدنيا والآخرة. حرصه لا يقتصر على الأمور الدنيوية، بل يمتد ليشمل نجاتهم من عذاب الله ودخولهم الجنة. هو يحرص على إيصال الخير لكم، ويدعوكم دائمًا إلى ما فيه صلاحكم.

"بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ": هاتان الصفتان (الرأفة والرحمة) هما من أسماء الله الحسنى، وقد وصف الله بهما نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم.

"رَءُوفٌ": تعني شديد الرأفة والشفقة، وهي أعلى درجات الرحمة. تدل على رقة قلبه وعظيم شفقته على أمته.

"رَّحِيمٌ": تعني كثير الرحمة. الرحمة تقتضي دفع الضرر وجلب الخير. هو يرحم أمته في كل أحوالها، ويحب لهم كل خير ويكره لهم كل سوء.

إن هذه الصفات مجتمعة ترسم صورة رسول حقيقي، لا يسعى لمصلحة شخصية أو دنيوية، بل كل همه هداية الناس وإرشادهم، وتخفيف المشقة عنهم، وحرصه على سعادتهم في الدنيا والآخرة. هذه الصفات هي من أعظم الدلائل على صدق رسالته، لأنها تعكس كمال النبوة وسمو الأخلاق، وهي

أخلاق لا يمكن أن يتصف بها مدعٍ أو كاذب.

معنى شهادة أن محمدًا رسول الله:شهادة "أن محمدًا رسول الله" هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وليست مجرد قول باللسان، بل هي اعتقاد راسخ في القلب وتطبيق عملي في الحياة.

يتضمن معناها أربعة جوانب أساسية:

طاعته فيما أمر: هذا يعني الامتثال التام لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم التي جاءت في القرآن الكريم أو في سنته النبوية الشريفة. فالرسول المبلغ عن الله، وأمره هو أمر من الله تعالى. طاعته ليست اختيارية، بل هي جزء لا يتجزأ من الإيمان. كل ما أمر به الرسول من فرائض وواجبات وسنن، يجب على المسلم أن يسعى جاهدًا لتطبيقها والعمل بها.

وتصديقه فيما أخبر: هذا يعني الإيمان المطلق واليقين التام بكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب (مثل الجنة والنار، الملائكة، البعث، الحساب، علامات الساعة) أو من أخبار الأمم السابقة، أو من أحكام وتشريعات. فكلامه صلى الله عليه وسلم هو وحي من الله، لا ينطق عن الهوى. تصديقه يشمل أيضًا تصديقه في كونه رسولًا من عند الله حقًا وصدقًا، وأن ما جاء به من دين هو الدين الحق.

واجتناب ما عنه نهى وزجر: هذا يعني الابتعاد الكلي عن كل ما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وحذر منه، سواء كان ذلك في القرآن أو في السنة. ما نهى عنه هو كل ما يضر بالدين والدنيا، وكل ما يؤدي إلى الفساد

والمعصية. اجتناب المنهيات واجب على المسلم، وهو دليل على صدق اتباعه للرسول وطاعته لأوامر الله.

وألا يُعبد الله إلا بما شرع: هذه النقطة من أهم النقاط في معنى الشهادة، وهي الأساس في تحقيق التوحيد الخالص لله تعالى. تعني أن الله سبحانه وتعالى لا يُعبد إلا بالطرق والعبادات التي شرعها هو بنفسه أو عن طريق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. فلا يجوز للمسلم أن يخترع عبادات جديدة، أو يضيف إلى العبادات المشروعة ما ليس منها، أو يتقرب إلى الله بغير ما جاء في الشرع. هذا يحارب البدع والشرك ويضمن نقاء العبادة وصفاء التوحيد. فالطريق الوحيد لعبادة الله هو طريق محمد صلى الله عليه وسلم.

وَدَلِيلُ الصّلَاةِ وَالزّكاةِ، وتَفْسِيرُ التوْحِيدِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُالدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ [البينة : ٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

[البقرة: .]١٨٣

ودَلِيلُ الحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ [آل عمران: ٩٧].

في هذا النص يذكر المؤلف رحمه الله بعض الأركان الأساسية في الإسلام، وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويستدل على كل منها بآيات من القرآن الكريم. كما يتطرق إلى تفسير التوحيد ضمن سياق عبادة الله وحده.

قوله ودليل الصلاة والزكاة، وتفسير التوحيد:قوله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ [البيّنة: ٥]

هذه الآية هي دليل واضح على وجوب الصلاة والزكاة، ولكنها أيضًا تفسر جوهر التوحيد.

"وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ"هذا هو تفسير التوحيد. المعنى أن الله سبحانه وتعالى لم يأمر البشر إلا بأن يعبدوه وحده لا شريك له. "مخلصين له الدين" تعني أن تكون عبادتهم خالصة لوجه الله تعالى، لا يشركون معه أحداً في عبادتهم، ولا يبتغون بها رياءً أو سمعة أو أي غرض دنيوي. "حنفاء" تعني مائلين عن الشرك إلى التوحيد، وعن سائر

الأديان الباطلة إلى الدين الحق وهو الإسلام. هذا يؤكد أن التوحيد هو أساس العبادة وأول أمر وجهه الله لعباده.

"وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ": هذا هو دليل وجوب الصلاة. "إقامة الصلاة" لا تعني مجرد أداء حركاتها الظاهرة، بل تعني أداءها كاملة بأركانها وواجباتها وسننها ، بخشوع وحضور قلب، وفي أوقاتها المحددة.

"وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ": هذا هو دليل وجوب الزكاة. "إيتاء الزكاة" يعني إخراجها من الأموال التي بلغت النصاب وحال عليها الحول، ودفعها إلى مستحقيها الشرعيين. وهي تطهير للمال ونماء له، ومواساة للفقراءوالمساكين.

"وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ": أي أن ما سبق من عبادة الله بإخلاص وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هو الدين المستقيم الثابت الذي لا اعوجاج فيه ولا تبديل، وهو دين الفطرة الذي قامت عليه السماوات والأرض.

ودليل الصيام:قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] هذه الآية هي الدليل الواضح على وجوب الصيام.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا": نداء للمؤمنين، وهذا يدل على أن الخطاب موجه للمكلفين من المسلمين.

"كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ": "كُتب" هنا تعني فُرِضَ وأوجب. أي أن الله فرض عليكم أيها المؤمنون الصيام.

"كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ": وهذا يدل على أن الصيام فريضة قديمة لم تكن خاصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل كانت مفروضة على الأمم السابقة أيضاً، وإن اختلفت كيفيته أو مدته.

"لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ": هذه هي الحكمة من فرض الصيام. فالصيام ليس مجرد

الامتناع عن الطعام والشراب والشهوات، بل هو مدرسة لتربية النفس على التقوى، وهي فعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه، خشيةً منه ورجاءً لثوابه. فالصيام يعين على ضبط النفس والسيطرة على الشهوات والبعد عن المعاصي، مما يؤدي إلى تحقيق التقوى.

ودليل الالح قوله تعالى :﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]

هذه الآية هي الدليل على وجوب الحج.

"وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ البَيْتِ": هذا يدل على أن الحج حق لله على عباده، وهو واجب عليهم. "حج البيت" هو قصد البيت الحرام (الكعبة المشرفة)

لأداء مناسك الحج المعروفة.

"مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا": هذا قيد للوجوب، أي أن الحج واجب على من قدر عليه واستطاع الوصول إليه من الناحية المالية والجسدية والأمنية.

فالاستطاعة شرط لوجوب الحج.

"وَمَن كفَرَ فَإِنّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ": هذا تحذير شديد لمن يمتنع عن أداء هذه الفريضة مع استطاعته، فهو بمنزلة الكافر الذي يجحد هذا الركن العظيم. وقوله "فإن الله غني عن العالمين" يعني أن الله لا يحتاج إلى عبادة أحد، وأن أداء العبادات يعود بالنفع على العبد نفسه، وليس على الله سبحانه وتعالى. الله هو الغني المطلق، والخلق هم الفقراء إليه.

المَرْتَبَةُ الثَانِيَةُ: الإ ِيمَانُ.

وَهُوَ : بِضْعُ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأ َذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإ ِيمَانِ» .

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلُّهُ مِنَ اللهِ (٢).

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السبيل [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ : قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بقدر

[القمر: ٤٩].

يتحدث المؤلف رحمه الله في هذا النص عن مرتبة الإيمان في الإسلام، ويُوضح معناها، شعبها، وأركانها الأساسية، مع ذكر الأدلة عليها من القرآن الكريم.

قوله والإيمان هو "بضع وسبعون شعبة". هذا يعني أن الإيمان ليس مجرد اعتقاد مجرد، بل هو مفهوم شامل يتكون من مجموعة كبيرة ومتنوعة من

الأفعال والصفات التي تُظهر صدق الاعتقاد في القلب.

أعلاها قول لا إله إلا الله: هذه هي قمة الإيمان وجوهره. إنها شهادة التوحيد، الإقرار بأنه لا معبود بحق إلا الله وحده، وهي مفتاح الدخول إلى

الإسلام وأساس كل عمل صالح.

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق: هذه هي أدنى شعب الإيمان، وتُظهر أن

الإيمان يشمل حتى الأعمال الصغيرة التي تعود بالنفع على المجتمع وتُزيل الضرر عن الناس. هذا يُؤكد على شمولية الإيمان وأنه ليس مقتصرًا على العبادات الشعائرية الكبيرة.

والحياء شعبة من الإيمان: الحياء، وهو صفة تُعبر عن الخجل من فعل ما يُخالف الشرع أو العرف الحسن، يُعتبر جزءًا أساسيًا من الإيمان. الحياء يدفع المسلم إلى الابتعاد عن المعاصي والفواحش، ويُزينه بالأخلاق الفاضلة.

وأركان ستةالإيمان له ستة أركان أساسية لا يصح إيمان المسلم إلا بالاعتقاد بها جميعًا. هذه الأركان هي:

* الإيمان بالله: هو الإيمان بوجود الله تعالى، وربوبيته (أنه الخالق الرازق المدبر لكل شيء)، وألوهيته (أنه المستحق للعبادة وحده)، وأسمائه وصفاته الحسنى (أنه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص).

* الإيمان بملائكته: هو التصديق الجازم بوجود الملائكة، وأنهم مخلوقات من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، وأن لكل منهم وظائف خاصة كجبريل الموكل بالوحي، وميكائيل الموكل بالرزق، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وملك الموت، وغيرهم.

* الإيمان بكتبه: هو التصديق بأن الله تعالى أنزل كتبًا على رسله لهداية البشرية، مثل التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، وأخيرًا القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المهيمن على جميع الكتب السابقة.

* الإيمان برسله: هو التصديق بأن الله تعالى أرسل رسلا ً إلى البشر لدعوتهم إلى توحيده وعبادته، وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، بدءًا من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وآخرهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم.

* الإيمان باليوم الآخر: هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله به ورسوله عن الحياة بعد الموت، من البعث والحساب والجزاء، والجنة والنار، وكل ما يتعلق بأهوال يوم القيامة.

* الإيمان بالقدر خيره وشره، كله من الله: هو الاعتقاد بأن كل ما يحدث في الكون، من خير وشر، حلو ومر، فهو بقضاء الله وقدره وعلمه وإرادته. هذا لا يعني الجبرية، بل يعني أن الله علم ما سيكون وكتبه، ولكن للإنسان إرادة واختيار يُمكِنه من فعل الخير أو الشر، وهو محاسب على اختياره.

والدليل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السبيل﴾ [البقرة: ١٧٧].

هذه الآية توضح أن البر الحقيقي ليس فقط التوجه في الصلاة إلى جهة معينة، بل هو الإيمان بهذه الأصول العظيمة، وهي الله، واليوم الآخر،

والملائكة، والكتاب (الكتب المنزلة)، والنبيين (الرسل). كما تُضيف الآية بعد ذلك أعمالًا صالحة تكمل هذا البر، مثل الإنفاق على المحتاجين، مما يُؤكد شمولية الإيمان للقلب والجوارح.

ودليل القدر: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

هذه الآية صريحة في إثبات القدر، وأن كل ما في الوجود، كبيره وصغيره، خلقه الله بتقدير وعلم سابق، لا يخفى عليه شيء.

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإ   ِحْسَانُ.

أَرْكَانُهُ: وله رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنُ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُروة الوثقى ﴾ الآية [لقمان: ٢٢]

وهو : «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم تُحْسِنُونَ [النحل: .]١٢٨

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيمِ

الَّذِي يَرَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (١)

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ [يونس: ٦١].

يتحدث المؤلف في هذا النص عن المرتبة الثالثة من مراتب الدين وهي

الإحسان. ويوضح أن الإحسان له ركن واحد فقط، ويستشهد على ذلك بآيات قرآنية لتأكيد هذه المرتبة العظيمة في الإسلام.

والإحسان هو: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". هذا التعريف يوضح جوهر الإحسان، وهو بلوغ درجة عالية من اليقين والمراقبة لله تعالى في جميع الأفعال والأقوال. فالمؤمن المحسن يعبد الله بقلب حاضر وكأنه يرى الله أمامه، وإذا لم يستطع الوصول إلى هذه المرتبة، فإنه يعلم يقيناً أن الله يراه ويطلع على كل ما يقوم به.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنُ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُروة الوثقى﴾ [لقمان: 22]. هذه الآية تربط بين إسلام الوجه لله (أي التوجه الكامل والخالص له) والإحسان، وتصف من يفعل ذلك بأنه قد تمسك بالعروة الوثقى، أي السبب القوي والآمن الذي ينجيه. هذا يشير إلى أن

الإحسان ليس مجرد عمل صالح بل هو حالة قلبية وعملية تعمق من ارتباط

العبد بربه.

و قوله تعالى: ﴿إِنّ اللهَ مَعَ الذِينَ اتقَوا وَالذِينَ هُم مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128].

هذه الآية تبين أن معية الله الخاصة تكون للمتقين والمحسنين. والمعية هنا تعني الحفظ والنصرة والتوفيق، مما يؤكد على منزلة الإحسان كسبب لجلب معية الله وعنايته.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكّلْ عَلَى العَزِيزِ الرّحِيمِ * الذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلبَكَ فِي السّاجِدِينَ * إنّهُ هُوَ السّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [الشعراء: 217-220].

هذه الآيات تدعو إلى التوكل على الله وتذكر بقدرته على رؤية عبده في كل حالاته، سواء كان قائماً للصلاة أو يتقلب بين الساجدين. هذا التأكيد على رؤية الله الدائمة هو أساس الإحسان، لأنه يدفع العبد إلى استحضار مراقبة الله له في كل حين، وبالتالي تحسين عمله ونيته.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلّا كُنّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: 61].

هذه الآية تؤكد على شمولية علم الله ومراقبته لجميع أفعال العباد، سواء كانت كبيرة أو صغيرة، عامة أو خاصة. فالله شهيد على كل ما يقوم به

الإنسان من شأن أو تلاوة قرآن أو أي عمل آخر. هذا الشعور الدائم بشهادة الله هو ما يدفع المؤمن للوصول إلى مرتبة الإحسان.

وَالدّلِيلُ مِنَ السُّنّةِ حَدِيثُ جبْرِيلَ عَلَيْهِ السّلَامُ المَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النّبِيّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ

الشّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثرُ السّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النّبِيّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ ، قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ ، وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِ   ِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ   ِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ،و   َتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ»

. قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِ   ِحْسَانِ. كَأَنّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السّاعَةِ. قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ

عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السّائِلِ».

قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَ   َمَةُ رَبّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ . فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ : يَا عُمَرُ ، أَتَدْرُونَ مَنِ السّائِلُ ؟».

قُلْنَا : اللهُ   ُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم

حديث جبريل عليه السلام هو من أعظم الأحاديث النبوية وأشملها، ويُعتبر أساسًا في فهم الدين الإسلامي بأصوله الثلاثة: الإسلام، الإيمان، والإحسان.

هذا الحديث رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو حديث مشهور ومتفق عليه في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما.

*بدأ الحديث بوصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلوسهم مع النبي ﷺ، ثم ظهور رجل بهي الطلعة، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا تظهر عليه علامات السفر (مما يدل على أنه ليس مسافرًا قدم من بعيد)، ولا يعرفه أحد من الصحابة الحاضرين. هذا الغريب جلس قرب النبي ﷺ بصورة تدل على الأدب والتواضع، حيث أسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ووضع كفيه على فخذيه (قيل فخذي النبي وقيل فخذي نفسه).

*ثم بدأ هذا الرجل بسؤال النبي ﷺ عن أركان الدين الأساسية، وكان يُصدّق النبي ﷺ بعد كل إجابة، مما أثار عجب الصحابة، كيف يسأل ويُصدّق في آن واحد؟ وفي نهاية الحديث كشف النبي ﷺ عن هوية هذا السائل، مبينًا أنه جبريل عليه السلام جاء ليعلمهم أمور دينهم.

يتناول الحديث أربعة محاور رئيسية:

١. الإسلام

سأل جبريل عليه السلام: "يا محمد أخبرني عن الإسلام". فأجاب النبي ﷺ:

"أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا".

هذا هو تعريف الإسلام العملي الظاهر، وهو ما يتعلق بالأعمال الجوارحية الظاهرة، ويتكون من أركان الإسلام الخمسة:

* شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله: وهي مفتاح الإسلام، وتعني الإقرار بالتوحيد لله وحده وعدم الإشراك به، والإقرار بنبوة محمد ﷺ وأنه رسول من عند الله يجب اتباعه.

* إقام الصلاة: أي أداء الصلوات الخمس المفروضة في أوقاتها، بشروطها وأركانها وواجباتها.

* إيتاء الزكاة: دفع القدر الواجب من المال للفقراء والمساكين والمستحقين، وفقًا للشروط الشرعية.

* صوم رمضان: الامتناع عن الطعام والشراب والجماع وسائر المفطرات من الفجر إلى المغرب خلال شهر رمضان المبارك.

* حج البيت: قصد الكعبة المشرفة لأداء المناسك المعروفة، وهو واجب على المستطيع مرة واحدة في العمر.

٢. الإيمان

سأل جبريل عليه السلام: "أخبرني عن الإيمان". فأجاب النبي ﷺ:

"أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ".

هذا هو تعريف الإيمان الباطني الاعتقادي، وهو ما يتعلق بالتصديق القلبي، ويتكون من أركان الإيمان الستة:

* الإيمان بالله: التصديق الجازم بوجود الله تعالى، ووحدانيته في ربوبيته (أفعاله)، وألوهيته (حق عبادته)، وأسمائه وصفاته (أنه موصوف بكل كمال ومنزه عن كل نقص).

* الإيمان بالملائكة: التصديق بوجود مخلوقات نورانية خلقهم الله لعبادته وطاعته، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

* الإيمان بالكتب: التصديق بأن الله أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله لهداية البشر، مثل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، مع التصديق بأن القرآن هو المهيمن عليها والناسخ لها.

* الإيمان بالرسل: التصديق بأن الله أرسل أنبياء ورسلًا لدعوة الناس إلى توحيده وعبادته، وأن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

* الإيمان باليوم الآخر: التصديق بكل ما أخبر الله به ورسوله عن اليوم الذي يلي الحياة الدنيا، من البعث والحساب والجزاء، والجنة والنار.

* الإيمان بالقدر خيره وشره: التصديق الجازم بأن كل ما يحدث في الكون، من خير وشر، هو بتقدير الله وعلمه وإرادته، وأن الله هو خالق كل شيء، وأن للعبد مشيئة تحت مشيئة الله.

٣. الإحسان

سأل جبريل عليه السلام: "أخبرني عن الإحسان". فأجاب النبي ﷺ:

"أنْ تعْبُدَ اللهَ كأنك تراهُ، فإنْ لمْ تكُنْ تراهُ فإنهُ يرَاكَ".

الإحسان هو أعلى مراتب الدين وأجلها، ويعني إتقان العبادة والإتيان بها على أكمل وجه، مع استحضار مراقبة الله تعالى. وله مرتبتان:

* المرتبة الأولى والأعلى (مقام المشاهدة): أن تعبد الله وكأنك تراه، أي تستحضر عظمة الله وجلاله أثناء عبادتك، كأنك تشاهده بعين قلبك، مما يجعلك تؤدي العبادة في منتهى الخشوع والإتقان.

* المرتبة الثانية (مقام المراقبة): فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهي مرتبة لمن لم يصل إلى الأولى، وتعني أن تستشعر علم الله واطلاعه عليك في كل أوقاتك وأفعالك، مما يجعلك تحسن العبادة خشية منه واستحياءً.

٤. الساعة وأماراتها

سأل جبريل عليه السلام: "أخبرني عن الساعة". فأجاب النبي ﷺ:"مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأعْلَمَ مِنَ السّائِلِ".

هذا الجواب يدل على أن علم وقت قيام الساعة هو من الأمور التي استأثر الله بها، فلا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب، لا جبريل ولا محمد ﷺ.

ثم سأل جبريل عليه السلام: "فأخبرني عن أماراتها". فأجاب النبي ﷺ:"أنْ تلِدَ الأمَةُ رَبّتَهَا، وَأنْ ترَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ".

هاتان علامتان من علامات الساعة الصغرى:

* أن تلد الأمة ربتها: لها عدة تفسيرات، منها:

* أن تكثر العقوق حتى تعامل الفتاة أمها معاملة السيد لأمته (لأن الأم تعبت في تربيتها والأبنة لا تقدر).

* أن يتسع الإسلام وتكثر الفتوحات، فتنتشر الإماء فيُنجبن من الأسياد أولادًا، فيكون الولد سيدًا وأمه أمة.

* كثرة بيع الأمهات وجلبهن وخدمتهن لبناتهن أو أحفادهن، فكأن الأمة ولدت سيدتها في المعاملة.

* أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان: هذه العلامة تشير إلى انقلاب الموازين الاجتماعية، حيث يصبح أفقر الناس وأحوجهم وأضعفهم (الحفاة العراة العالة رعاء الشاء) من أصحاب الثراء والسلطة، فيتباهون بالبنيان الشاهق والعمارات الفاخرة بعد فقر مدقع وجهل عميق. وقد تحقق هذا في أزمنة متأخرة، حيث أصبح البدو الذين كانوا يعيشون حياة بسيطة في الصحراء يملكون الثروات ويبنون الأبراج العالية.

* بعد أن انصرف جبريل عليه السلام، أخبر النبي ﷺ الصحابة بأنه جبريل، وأنه جاء ليعلمهم أمور دينهم. هذا يؤكد أن هذا الحديث ليس مجرد سؤال وجواب عابرين، بل هو منهج تعليمي نبوي أصيل لتعليم الأمة أصول دينها بشكل واضح وميسر.

الأصل الثالث:

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ :

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

يتناول المؤلف رحمه الله في هذا النص الأصل الثالث من

الأصول الثلاثة التي يجب على المسلم معرفتها، وهو معرفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فبدأ بذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. هذا التسلسل يوضح لنا نسبه الطاهر الذي يعود إلى أصول عريقة ومباركة:

* محمد: هو الاسم الذي سمّاه به جده عبد المطلب.

* بن عبد الله: والده الذي توفي قبل ولادته.

* بن عبد المطلب: جده الذي كفله ورعاه.

* بن هاشم: جده الأعلى الذي تنسب إليه قبيلة بني هاشم.

ثم يوضح امتداد هذا النسب الشريف قائلا ً: وهاشمٌ من قريشٍ، وقريشُ من العربِ، والعربُ من ذريةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليه وعلى نبينا أفضلُ الصلاةِ والسلامُ. هذا التسلسل يبرز عدة نقاط مهمة:

* هاشم من قريش: قبيلة قريش هي من أعرق وأشرف القبائل العربية، وكانت لها مكانة عظيمة في مكة المكرمة، كونها المسؤولة عن خدمة الكعبة المشرفة. انحدار النبي من هذه القبيلة العريقة يضفي عليه شرفاً ونسباً رفيعاً بين العرب.

* قريش من العرب: هذا يؤكد انتماء النبي صلى الله عليه وسلم للعرب ككل

، وهو ما يجعله نبياً من هذه الأمة التي اصطفاها الله لحمل رسالة الإسلام.

* العرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل: هذه النقطة ذات أهمية بـ الغة، حيث تربط نسب النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء العظام. إسماعيل عليه السلام هو ابن نبي الله إبراهيم عليه السلام، المعروف بـ "خليل الله". هذا الربط

بالنسب الإبراهيمي يعزز مكانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كوارث للرسالات السماوية السابقة، ويؤكد على أن دعوته امتداد لدعوة التوحيد التي جاء بها إبراهيم عليه السلام.

ثم ذكر رحمه الله أن له من العمر ثلاثٌ وستون سنةً. هذا هو عمر النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاته، وهو عمر مبارك قضاها في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله. ثم يفصل النص هذا العمر إلى مرحلتين أساسيتين:

منها أربعون قبل النبوة: هذه هي الفترة التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه بالرسالة. كانت هذه الأربعين سنة مرحلة تهيئة وإعداد، عاش خلالها حياة كريمة تميزت بالصدق

والأمانة والأخلاق الحسنة، حتى لقّب بـ "الصادق الأمين" بين قومه. هذه الفترة شكلت أساساً قوياً لتقبل دعوته لاحقاً.

وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً: هذه هي الفترة التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته، حيث نزل عليه الوحي وأصبح نبياً ورسولاً. خلال هذه السنوات الثلاث والعشرين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وأسس دولة الإسلام ونشر دعوة التوحيد في أصقاع الأرض. قسّمت هذه الفترة إلى مرحلتين رئيسيتين:

* مرحلة النبوة في مكة: استمرت حوالي 13 سنة، تركزت على بناء العقيدة وغرس التوحيد في نفوس المسلمين الأوائل، بالرغم من شدة الأذى و المقاطعة التي تعرضوا لها.

* مرحلة الرسالة في المدينة: استمرت حوالي 10 سنوات، شهدت بناء الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة وتوسع الدعوة ووقوع الغزوات والمعارك لصد أعداء الإسلام.

نبي (اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ (الْمُدّثِرِ)، وَبَلَدُهُ مَكةُ. بَعَثَهُ اللّه ُ بِالنّذَارَةِ عَنِ الشّرْكِ، وَيَدْعُو إلَى التّوْحِيدِ، وَالدّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُمْ فَأَنذِرُ إلى

قوله : وَلِرَبِّكَ فَأَصْبِرْ [المدثر : ٢ -٧].

وَمَعْنَى: (قُمْ فَأنذِرْ): يُنْذِرُ عَنِ الشّرْكِ، وَيَدْعُو إلَى التّوْحِيدِ.

(وَرَبّكَ فَكَبِّرْ) : عَظّمْهُ بِالتّوْحِيدِ.

(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) : أيْ: طَهِّرْ أعْمَالَكَ عَنِ الشرك.

(وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ): الرُّجْزَ الأ َصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأهْلِهَا، وفِرَاقُهَا وَأَهْلِهَا.

أخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إلَى السّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

وَصَلّى بِمَكَةَ ثَلَاثَ سِنِينَ،

يتحدث المؤلف رحمه الله عن بداية رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتكاليف الدعوة التي بدأت به. إليك شرح مفصل لكل نقطة:

قوله "نبي (اقْرَأْ)": هذا يشير إلى أن أول ما نزل من القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان أمرًا بالقراءة في سورة العلق: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}. هذه الآيات كانت بداية الوحي النبوي، وهي تُعَدُّ اللحظة التي بدأ فيها النبي محمد يتلقى الرسالة الإلهية.

قوله "وَأُرْسِلَ (الْمُدّثِرِ)": بعد فترة قصيرة من بداية الوحي بسورة العلق، جاءت سورة المدثر، والتي كانت بمثابة أمر إلهي صريح للنبي محمد بالبدء بـ الدعوة والإنذار. فبعد أن كان الوحي في "اقرأ" يركز على التلقي والاستعداد، جاءت سورة المدثر لتبدأ مرحلة العمل والدعوة.

قوله "وَبَلَدُهُ مَكّةُ": يشير هذا إلى أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بُعث في مدينة مكة المكرمة، وهي المدينة التي شهدت بداية الدعوة الإسلامية ومواجهة الصعوبات الأولى.

جوهر الرسالة الأولى

قوله "بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ":

هذا يلخص جوهر رسالة الأنبياء والمرسلين. فالهدف الأساسي من بعثة النبي محمد هو تحذير الناس من الشرك بالله (أي عبادة غير الله أو إشراك أحد معه في الألوهية) والدعوة إلى التوحيد الخالص لله وحده، وهو الإقرار بأنه لا إله إلا الله، وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه.

قوله "وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٢ -٧]":

هذه الآيات من سورة المدثر هي الدليل القرآني على التكاليف الأولى التي كلفها الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم. وهي تشكل دستورًا مبكرًا للدعوة:

"قُمْ فَأَنذِرْ" معناها: أن يقوم النبي صلى الله عليه وسلم بالتحذير و التخويف من عواقب الشرك بالله، وأن يدعو الناس إلى الإيمان بالله وحده وترك عبادة الأصنام والأنداد.

"وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ": معناها: أي عظِّم الله تعالى بالتّوحيد الخالص، وبإفراده بـ العبادة، وإثبات صفات الكمال والجلال له وحده.

"وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ": معناها: هنا، لا يقصد بها طهارة الثياب المادية فقط، بل هي كناية عن تطهير الأعمال والنفس من الشرك والذنوب والمعاصي. أي اجعل أعمالك خالصة لله بعيدة عن شوائب الشرك والنفاق.

"وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ": الرجز: في هذا السياق، يعني الأصنام والأوثان وكل ما يعبد من دون الله.

هَجْرُهَا: يعني تركها والتبرؤ منها ومن عبّادها. ويتضمن ذلك الابتعاد عن أماكن عبادتها، وعدم المشاركة في شعائرها، وترك موالاة أهلها.

قوله "أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ": هذا يشير إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى عشر سنوات من دعوته في مكة (من أصل ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة) وهو يدعو إلى التوحيد ويُنذر عن الشرك، ويواجه الصعوبات و

المعارضة الشديدة من أهل مكة، ملتزمًا بهذه التكاليف الأساسية المذكورة في سورة المدثر. هذه الفترة اتسمت بالدعوة إلى أساسيات الدين، وتثبيت العقيدة، وبناء جيل من الصحابة على التوحيد.

قوله "وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السّمَاء، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصّلَوَاتُ الخَمْسُ":

بعد هذه السنوات العشر من الدعوة، حدثت معجزة الإسراء والمعراج، حيث أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلا ً من المسجد الحرام إلى المسجد ا لأقصى، ثم عُرِج به إلى السماوات السبع. وفي هذه الرحلة المباركة، فُرضت عليه الصلوات الخمس مباشرة من الله تعالى. هذا يدل على أهمية الصلاة ومكانتها العظيمة في الإسلام، وأنها فُرضت في مكان وزمان لم يُفرض فيهما شيء آخر من أركان الإسلام.

قوله وَصَلّى بِمَكّةَ ثلَاثَ سِنِين،َ

يذكر رحمه الله أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم صلى في مكة لمدة ث لاث سنوات

وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالهِجْرَةِ.

وَالهِجْرَةُ : الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإ ِسْلَامِ.

وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ إلى قوله: وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا * [النساء: ٩٧-٩٩].
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ) الآية [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: سبب نزول هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا ، نَادَاهُمُ اللَّهُ ُ بِاسْمِ الإ ِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ : قَوْلُهُ : لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا

تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»

يتحدث المؤلف رحمه الله عن مفهوم الهجرة في الإسلام، وأهميتها، واستمراريتها إلى يوم القيامة، مستشهدًا بآيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة.

قوله والهجرة "الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام".

هذا التعريف يسلط الضوء على جوهر الهجرة، وهي ترك المكان الذي تسود فيه عبادة غير الله والتوجه إلى مكان حيث يُعبد الله وحده وتقام شعائر الإ سلام بحرية وأمان. ليست الهجرة مجرد انتقال جغرافي، بل هي انتقال عقيدي ومبدئي.

ويؤكد رحمه الله أن الهجرة "باقية إلى أن تقوم الساعة".

هذا يعني أن مبدأ الهجرة ليس مقتصرًا على فترة زمنية معينة، مثل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، بل هو مبدأ دائم ينطبق على المسلمين في كل زمان ومكان إذا وجدوا أنفسهم في بلد لا يستطيعون فيه إقامة دينهم وشعائرهم بحرية وأمان.

والدليل ﴿إِنّ الذِينَ توَفّتهُمُ المَلَائِكةُ ظَالِمِي أنفسهمْ قالوا فِيمَ كُنتمْ قالوا كنّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأرْضِ قالوا ألمْ تكُنْ أرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتهَاجِرُوا فِيهَا فَأولئِكَ مَأوَاهُمْ جَهَنّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إلّا المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرّجَالِ وَالنّسَاءِ وَالوِلدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأولئِكَ عَسَى اللهُ أن يَعْفُوَ عَنهُمْ وَكانَ اللهُ عَفُوًّا غفورًا﴾.

* يشرح الإمام البغوي رحمه الله سبب نزول هذه الآيات بأنها في المسلمين الذين بمكة ولم يهاجروا، حيث ناداهم الله باسم الإيمان. هذه الآ يات توبيخ لمن ترك الهجرة مع قدرته عليها، وتبرز أن البقاء في بلد الشرك مع القدرة على الهجرة يعتبر ظلمًا للنفس، ما لم يكن الشخص مستضعفًا حقًا ولا يجد سبيلًا للهجرة.

وقوله تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الذِينَ آمَنُوا إنّ أرْضِي وَاسِعَةٌ فَإيّايَ فَاعْبُدُونِ﴾.

هذه الآية دعوة عامة للمؤمنين بأن لا يقتصروا على مكان واحد لعبادة الله، فإذا ضاقت عليهم الأرض في مكان معين بسبب الاضطهاد أو عدم القدرة على إقامة شعائرهم، فإن أرض الله واسعة ليجدوا مكانًا آخر يعبدون الله فيه بحرية.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا تنقطِعُ الهِجْرَةُ حَتّى تنقطِعَ التوْبَةُ، وَلَا تنْقطِعُ التوْبَةُ حَتّى تطلُعَ الشّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا".

هذا الحديث يؤكد بوضوح أن الهجرة باقية ومستمرة إلى أن يأتي يوم القيامة وتظهر العلامات الكبرى مثل طلوع الشمس من مغربها، والتي بعدها تغلق أبواب التوبة. هذا الربط بين الهجرة والتوبة يعظم من شأن الهجرة، ويجعلها من الأعمال التي ينبغي للمسلم أن يلجأ إليها إذا اقتضت الضرورة ذلك لإقامة دينه.

فَلمّا استَقرّ فِي المَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، مِثلُ: الزّكاةِ، وَالصّوْمِ، وَالحَجّ، وَالأذَانِ، وَالجِهَادِ، وَالأمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنّهْيِ عَنِ المُنْكرِ ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفّيَ -صلواتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُه بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَا دَلّ الأُمّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرّ إلَا حَذّرَهَا مِنْهُ، وَالخَيْرُ الذِي دَلّ عَلَيْهِ التّوْحِيدُ، وَمَا يُحِبّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشّرُ الذِي حَذّرَ مِنْهُ الشّرْكُ، وَمَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأبَاهُ.

يتحدث المؤلف رحمه الله عن مرحلة مهمة في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، ويُسلط الضوء على إكمال تشريع الإسلام وتوضيح جوهر دعوته.

"فَلمّا استَقرّ فِي المَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، مِثلُ: الزّكاةِ، وَالصّوْمِ، وَالحَجّ، وَالأذَانِ، وَالجِهَادِ، وَالأمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنّهْيِ عَنِ المُنْكرِ"

هذا الجزء يشير إلى أن النبي صلى اللّه عليه وسلم، بعد أن استقر في المدينة المنورة (بعد هجرته من مكة)، بدأت تنزل عليه الأوامر الإلهية بتشريع بقية أركان الإسلام وواجباته. في مكة، كان التركيز الأساسي على توحيد اللّه ونبذ الشرك، وترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين

الأوائل. أما في المدينة، ومع تأسيس الدولة الإسلامية، أصبح من الضروري وضع القوانين والتشريعات المنظمة لحياة المجتمع.

من الأمثلة التي ذكرها:

* الزكاة: فريضة مالية على الأغنياء تعطى للفقراء والمساكين، وهي ركن أساسي لتحقيق التكافل الاجتماعي.

* الصوم: فريضة صيام شهر رمضان، وهي عبادة روحية تهذب النفس وتعلم الصبر والتقوى.

* الحج: فريضة زيارة البيت الحرام بمكة لمن استطاع إليه سبيلاً، وهي رحلة روحية عظيمة توحد المسلمين من كل بقاع الأرض.

* الأذان: النداء للصلاة، وهو شعيرة إسلامية تجمع المسلمين لأداء الصلوات في أوقاتها.

* الجهاد: يشمل عدة أنواع، منها جهاد النفس (مقاومة

الأهواء والمعاصي)، وجهاد الدعوة (نشر الإسلام بالحكمة

والموعظة الحسنة)، وجهاد القتال (الدفاع عن النفس

والوطن ونشر العدل إذا لزم الأمر).

* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو واجب على كل مسلم أن يدعو إلى كل ما هو خير وصلاح، ويُحذر ويُنهي عن كل ما هو شر وفساد، وذلك

بالتي هي أحسن. هذا يعكس مبدأ الرقابة المجتمعية والحرص على صلاح المجتمع.

قوله رحمه الله "أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ -صلواتُ اللّه ِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ."

يوضح هذا الجزء أن عملية تشريع وتطبيق هذه الأحكام الشرعية استغرقت عشر سنوات، وهي المدة التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة قبل وفاته. وهذا يدل على أن الإسلام لم ينزل دفعة واحدة، بل تدرج في تشريعه ليناسب تطور المجتمع المسلم واستيعابه للأحكام الجديدة.

قوله رحمه الله"وتوفِّي ودينه باقٍ"

وهي إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتم رسالته، وأكمل دين الله، ومات ودينه راسخ ومحفوظ، لم يتبق شيء لم يُبَيّن، وأن هذا الدين خالد وصالح لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة.

قوله رحمه "وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إلَا دَلّ الأ ُمّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرّ إلَا حَذَرَهَا مِنْهُ"

هذا الجزء يُلخص جوهر رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته. إنه يؤكد على شمولية الإسلام وكماله. فالدين الإسلامي لم يترك بابًا من أبواب الخير إلا وأرشد الأمة إليه، ولم يترك بابًا من أبواب الشر إلا وحذرها منه. هذا يُبرز النبي كمرشد ومعلم وهادٍ، حريص على مصلحة أمته في الدنيا

والآخرة.

"لَا خَيْرَ إِلَا دَلّ الأ   ُمّةَ عَلَيْهِ": كل ما فيه صلاح وفلاح

للإنسان في دينه ودنياه، من عبادات ومعاملات وأخلاق، قد بينه النبي صلى الله عليه وسلم وأرشد الأمة إليه.

"وَلَا شَرّ إِلَا حَذّرَهَا مِنْهُ": كل ما فيه فساد وضرر للإنسان في دينه ودنياه، من محرمات ومنكرات وسوء أخلاق، قد حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم ونهى الأمة عنه

قوله رحمه الله"وَالْخَيْرُ الذِي دَلّ عَلَيْهِ التّوْحِيدُ، وَمَا يُحِبُهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشّرُ الذِي حَذّرَ مِنْهُ الشّرْكُ، وَمَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ."

هذا الجزء يُقدم تلخيصًا لأهم معالم الخير والشر في الإسلام

باختصار، هذا النص يؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم أدى رسالته على أكمل وجه، وبَيّن للناس كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وحذرهم من كل ما يضرهم. وأن محور هذه الدعوة هو توحيد الله وترك الشرك، وأن الإسلام دين كامل وشامل لكل جوانب الحياة.

بَعَثَهُ اللّه ُ إلى النّاس كافّةً، وَافْتَرَضَ طاعَتَهُ عَلَى جَميع الخَلَق الجنّ وَالإ ِنس وَالدّلِيلُ قوْلُهُ تعَالى: ﴿قلْ يَأيُهَا النّاسُ إنّي رَسُولُ االلّ إليْكمْ جَمِيعًا) الآية [الأعراف: ١٥٨].

وأكمَلَ اللّه له الدّين، وَالدّلِيلُ قوْلُهُ تعَالى: اليَوْمَ أكمَلتُ لكمْ دِينَكمْ ﴾ الآية [المائدة: ٣].

وَالدّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ قوْلُهُ تعَالى: ﴿إنّكَ مَيّتٌ وَإنّهُم مَيّتُونَ﴾ الآية [الزمر: ٣٠-٣١].

يتناول المؤلف رحمه الله في هذا النص ثلاثة محاور رئيسية تتعلق بنبيا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي: عالمية رسالته، كمال الدين الذي جاء به، ودليل وفاته.

بَعَثَهُ اللّه ُ إلى النّاس كافّةً، وَافْتَرَضَ طاعَتَهُ عَلَى جَميع الخَلَق الجنّ وَالإ ِنس وَالدّلِيلُ قوْلُهُ تعَالى:﴿قُلْ يَا أيُهَا النّاسُ إنّي رَسُولُ اللهِ إليْكمْ جَميعًا﴾.

هذا يعني أن دعوته ليست مقتصرة على قوم معين أو زمن محدد، بل هي رسالة عالمية وشاملة موجهة لكل مخلوق عاقل.

وهذه الآية صريحة وواضحة في تأكيد عموم رسالته، حيث يأمره الله تعالى أن يخاطب الناس جميعًا ويعلن لهم أنه رسول إليهم جميعًا. يترتب على ذلك وجوب طاعته على كل الخلق، فمن آمن بالله ورسوله وجبت عليه طاعته واتباع ما جاء به من أحكام وتشريعات.

وأكمَلَ اللّه له الدّين،والدليل قوله تعالى﴿اليَوْمَ أكمَلتُ لكمْ دِينَكمْ﴾.

هذا يعني أن الله قد أتم الشريعة وأكملها، ولم يعد هناك حاجة لأي دين آخر أو تشريع جديد بعده. الدين الذي جاء به الرسول هو الدين الكامل والشامل الذي يلبي احتياجات البشرية في كل زمان ومكان.

وهذه الآية نزلت في حجة الوداع، وهي إعلان من الله تعالى بأنه أتم نعمته على المسلمين بإكمال الدين لهم، فلا نقص فيه ولا يحتاج إلى زيادة أو تعديل. هذا يؤكد أن الإسلام هو خاتمة الرسالات السماوية، وأن منهجه هو المنهج الأخير للبشرية.

وَالدّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ قَوْلُهُ تعَالى: {إِنّكَ مَيّتٌ وَإِنّهُم مَيّتُونَ}.

هذه الآية تخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة لتؤكد له حقيقة الموت، وفي الوقت نفسه تخبره بأن من حوله من البشر سيموتون أيضًا. هذا يثبت أن الرسول كان بشرًا يمر بما يمر به البشر من ولادة وحياة وموت، وأن حياته ليست خلودًا، بل هي رسالة أداها ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى.

باختصار، يقدم هذا النص ثلاث حقائق أساسية عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: عالمية دعوته للجن والإنس، وكونه خاتم الأنبياء الذي جاء بدين كامل وشامل، وأخيرًا، تأكيد حقيقة وفاته كبشر، مما ينفي أي اعتقاد بخلاف ذلك.

وَالنّاسُ إذَا مَاتوا يُبْعَثُونَ، وَالدّلِيلُ قوْلهُ تعَالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخرِجُكُمْ تارَةً أُخرَى

[طه : ٥٥] ، وَقوْلهُ تعَالى: ووَاللهُ أ   َنْبَتَكم مِّنَ الأَرْض نَبَاتًا [نوح : ١٧].

وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأعْمَالِهِمْ، وَالدّلِيلُ قوْلهُ تعَالى: ﴿لِيَجْزِيَ الذِينَ أسَتَعُوا بِمَا عَمِلوا وَيَجْزِيَ الذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى [النجم: ٣١].

وَمَنْ كذّبَ بِالبَعْثِ كفرَ ، وَالدّلِيلُ قوْلهُ تعَالى : زَعَمَ الذِينَ كفَرُوا أن لن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبّي لتُبْعَثُنّ ثمّ لتُنَبّؤُنّ بِمَا عَمِلتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾

[التغابن : ٧].

يتناول المؤلف في هذا النص ثلاثة محاور أساسية في العقيدة الإسلامية: البعث بعد الموت، والحساب والجزاء على الأعمال، وحكم من يكذب بالبعث.

أولا: البعث بعد الموت

يؤكد النص أن الناس بعد موتهم سيبعثون ويُعاد إحياؤهم. هذا البعث ليس مجرد فكرة نظرية، بل هو حقيقة أثبتها القرآن الكريم.

* الدليل الأول: قوله تعالى في سورة طه (الآية 55):

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾.

هذه الآية الكريمة تشير إلى ثلاث مراحل لخلق الإنسان وعودته إلى الحياة.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾: تدل على أن أصل خلق الإنسان من الأرض (التراب).

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: تشير إلى عودة الإنسان إلى الأرض بعد الموت، أي دفنه فيها.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾: وهذا هو مربط الفرس، فهو دليل صريح وواضح على البعث، أي إخراج الإنسان من الأرض وإعادته للحياة مرة أخرى

بعد الموت، ليُحاسب على أعماله. هذه العودة للحياة هي ما يُعرف بالبعث أو النشأة الآخرة.

وقوله تعالى ﴿وَاللهُ أنبَتَكم مِّنَ الأرْضِ نَبَاتًا﴾.

هذه الآية تشبه عملية خلق الإنسان وإنباته من الأرض بعملية إنبات النباتات. فكما أن الأرض تخرج النبات بعد موته أو جفافه، فكذلك سيبعث الله الناس من الأرض بعد موتهم. هذا التشبيه يقرب الفكرة إلى الأذهان ويجعلها مفهومة، فالذي قدر على إنبات النبات من الأرض قادر على إعادة إحياء الإنسان منها.

وبعد أن يبعث الناس من قبورهم، لن يُتركوا هباءً، بل سيُحاسبون على كل ما قدموه في حياتهم الدنيا، ويُجازون على أعمالهم بالخير أو الشر.

* الدليل: قوله تعالى في سورة النجم (الآية 31):

﴿لِيَجْزِيَ الذِينَ أسَاءُوا بِمَا عَمِلوا وَيَجْزِيَ الذِينَ أحْسَنُوا بِالحُسْنَى﴾.

هذه الآية تبين عدل الله المطلق في يوم القيامة.

﴿لِيَجْزِيَ الذِينَ أسَاءُوا بِمَا عَمِلوا﴾: هذا الجزء يشير إلى أن السيئين سيلقون جزاءً عادلا ً على سيئاتهم وأفعالهم الخاطئة التي ارتكبوها في الدنيا. الجزاء هنا يكون بحسب ما يستحقون من العقاب.

﴿وَيَجْزِيَ الذِينَ أحْسَنُوا بِالحُسْنَى﴾:

أما المحسنون، وهم الذين قاموا بالأعمال الصالحة واتبعوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه، فسيُجازون بالجزاء الأفضل وهو الجنة ورضوان الله. هذا يؤكد مبدأ الثواب والعظيم لمن أحسن عملا ً.

ومن كذّب بالبعث كفر والدليل ﴿زَعَمَ الذِينَ كفَرُوا أن لن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لتُبْعَثُنّ ثمّ لتُنَبّؤُنّ بِمَا عَمِلتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿زَعَمَ الذِينَ كفَرُوا أن لن يُبْعَثُوا﴾:

هذه الجملة تصف حال الكفار الذين أنكروا وجود يوم القيامة والبعث بعد الموت، وظنوا أنهم لن يُعادوا إلى الحياة للحساب.

۞{قلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ}۞:

هنا يأتي الأمر الإلهي للرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقسم بالله تأكيداً على حتمية البعث. فالقسم "وربي" يشدد على صدق هذه الحقيقة وأهميتها. ثم يوضح أنه بعد البعث، سيُخبر الناس بكل ما عملوا من خير وشر.

۞{وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ}۞:

هذه الخاتمة تؤكد على أن عملية البعث والحساب ليست بالأمر الصعب على قدرة الله عز وجل. فبمجرد أن يأمر الله بالشيء يكون. هذه الجملة تدحض أي شك في قدرة الله على إعادة الخلق.

وَأرْسَلَ اللّه ُ جَمِيعَ الرّسُلِ مُبَشّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرُسُلِ [النساء : ١٦٥].

وَأوهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمّدٌ ، وَهُوَ خَاتَمُ الأ َنْبِيَاء، لَا نَبِيّ بَعْدَهُ، وَالدّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النّبِيِّينَ ﴾

[الأحزاب: ٤٠]

وَالدّلِيلُ عَلَى أَنّ نُوحًا أَوّلَ الرُسُلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنّبِيّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ الآية

[النساء: ١٦٣].

وَكُلُ أُمّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمّدٍ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطّاغُوتِ، وَالدّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلّ أُمّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ [النحل: ٣٦].

يتحدث المؤلف رحمه الله في هذا النص عن مبدأ أساسي في العقيدة

الإسلامية وهو بعثة الله للرسل والأنبياء عليهم السلام، والغاية من إرسالهم، مع ذكر بعض الأدلة القرآنية على ذلك.

يبدأ النص بآية كريمة من سورة النساء (الآية 165): ﴿

رسلا مُبَشّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرُسُلِ﴾.

هذه الآية توضح الهدف الأسمى من بعثة الرسل، وهو إقامة الحجة على البشر. فالله سبحانه وتعالى لم يترك الناس تائهين دون هداية، بل أرسل إليهم رسلا ً يحملون رسالاته. هؤلاء الرسل كانوا:

مبشرين: يبشرون المؤمنين الصالحين بالجنة، وبالفوز في الدنيا والآخرة إذا اتبعوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه.

ومنذرين: ينذرون الكافرين والعصاة بالعقاب الشديد في الدنيا والآخرة إذا

استمروا في غيهم ومعصيتهم.

وبإرسال الرسل، لم يبقَ لأي إنسان عذر أمام الله يوم القيامة، فلم يعد هناك مجال للقول "لم يأتِنا من يُعلِمنا" أو "لم نعرف الطريق الصحيح". فقد أرسل الله من يبلغ رسالته بوضوح.

"أولهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ"، والدليل:{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ}.

هذه الآية تشير إلى أن الوحي بدأ بنوح عليه السلام، ثم توالى على النبيين من بعده، مما يجعله أول رسول أرسله الله إلى البشرية برسالة خاصة وشريعة، بعدما انتشر الشرك.

"آخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ، وَهُوَ خَاتَمُ الأ َنْبِيَاءِ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ". والدليل على ذلك آية صريحة من سورة الأحزاب (الآية 40): {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}.

هذه الآية تؤكد بشكل قاطع أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر

الأنبياء، ولا يأتي بعده أي نبي. رسالته هي الرسالة الخاتمة والشاملة للناس أجمعين إلى قيام الساعة.

مضمون رسالة الرسل الأساسي

واختتم رحمه الله ببيان جوهر رسالة جميع الأنبياء والرسل،

من نوح إلى محمد عليهم السلام: "وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ".

والدليل {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}.

هذا الجزء يؤكد على أن الرسالة الأساسية التي جاء بها جميع الرسل كانت واحدة ومشتركة، وهي دعوة الناس إلى:

* عبادة الله وحده لا شريك له: هذا هو جوهر التوحيد، وهو إفراد الله

بالعبادة والاعتراف بأنه الخالق والرازق والمدبر وحده.

* النهي عن عبادة الطاغوت: "الطاغوت" هو كل ما يُعبد من دون الله أو يُطاع في معصية الله. يشمل ذلك الأصنام، الشياطين، الكهنة، والسحرة، وكل ما يتجاوز به العبد حدوده في العبادة أو الطاعة بغير حق.

إذن، فالقاسم المشترك بين جميع الرسالات السماوية هو التوحيد الخالص لله ونبذ الشرك بكل أأشكال.

وَاقْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِ ِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ العَلَامَةُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ .

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ :

إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ ُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَن ادّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ

الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ

بِاللهِ ِ الآيَة [البقرة : ٢٥٦].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي الحَدِيثِ: رَأْسُ الأَ َمْرِ الإِ ِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ . وَاللهُ ُ أَعْلَمُ .

يبين المؤلف رحمه الله في هذا النص أهمية الكفر بالطاغوت والإيمان بالله في الإسلام، ويعتبر ذلك أساس الدين ومعنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"..

فبتدأ رحمه الله بتعريف الطاغوت مستشهدًا بقول ابن القيم رحمه الله. الطاغوت هو كل ما يتجاوز به العبد حده من ثلاثة أمور:

* معبود: أي كل ما يُعبد من دون الله تعالى، سواء كان صنمًا، أو إنسانًا، أو حيوانًا، أو أي شيء آخر.

* متبوع: أي كل من يُتبع في غير طاعة الله ورسوله، كمن يتبع الأهواء

والبدع والخرافات المخالفة للشرع.

* مطاع: أي كل من يُطاع في معصية الله تعالى، كمن يُطيع حاكمًا أو زعيمًا يأمر بمعصية الله.

رؤوس الطواغيت الخمسة

يُشير رحمه الله إلى أن الطواغيت كثيرون، ولكن رؤوسهم خمسة، وهم:

* إبليس (لعنه الله): هو رأس كل الشرور ومصدر الإغواء، وهو أول من عصى الله وتكبر.

* من عُبد وهو راض: كل من قُدمت له العبادة من دون الله وهو راضٍ بذلك ، سواء كان إنسانًا أو غيره، لأنه بذلك يقر على نفسه الألوهية.

* من ادعى شيئًا من علم الغيب: لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، فمن ادعى ذلك فقد تجاوز حده وادعى صفة من صفات الألوهية.

* من دعا الناس إلى عبادة نفسه: كل من دعا الناس إلى عبادته هو طاغوت صريح، لأنه يتأله من دون الله.

* من حكم بغير ما أنزل الله: هذا يشمل كل من يشرع قوانين أو أحكامًا تخالف شرع الله تعالى، ويقدمها على حكم الله، فهو بذلك ينصب نفسه شريكًا لله في التشريع.

واستدل رحمه الله على هذا الأمر العظيم بآية من القرآن الكريم، وهي قول الله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : 256].

هذه الآية أن الهداية قد اتضحت من الضلال، وأن أساس الدين يقوم على ركنين أساسيين:

* الكفر بالطاغوت: أي البراءة من كل ما يُعبد من دون الله، ومن كل من يتأله أو يشرع بغير ما أنزل الله، ومن كل من يُتبع ويُطاع في معصية الله. هذا هو الشطر الأول من "لا إله إلا الله".

* الإيمان بالله: أي التصديق الجازم بوجود الله ووحدانيته، وعبادته وحده لا شريك له، وطاعته فيما أمر ونهى. هذا هو الشطر الثاني من "لا إله إلا الله ".

يؤكد رحمه الله أن ما سبق هو معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، والتي

تعني: لا معبود بحق إلا الله. فكلمة التوحيد هذه تنفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وتثبتها له وحده سبحانه وتعالى.

ثم اختتم رحمه الله النص بحديث نبوي يؤكد مكانة الإسلام وأهمية أركانه:

"رَأسُ الأ َمْرِ الإ ِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ."

* رأس الأمر الإسلام: يعني أن الإسلام هو الأساس والمنطلق لكل شيء في حياة المسلم.

* عموده الصلاة: الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به، ومن حفظها فقد حفظ دينه.

* ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله: الجهاد في سبيل الله هو أعلى مراتب الإسلام وأكثرها شرفًا، وهو بذل الجهد لنصرة دين الله ونشره، سواء كان جهاد النفس أو جهاد العدو.

تم بحمدلله